

روايات
مصرية
للجيب

٤

فارس الأندلس

الفارس الأسود

Looloo

www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق



مالت الشمس إلى المغيب ، في تلك البقعة من مملكة
(غرناطة) ، آخر ممالك العرب في (الأندلس) ، واستعدت
المزارعون للعودة إلى منازلهم ، بعد عمل شاق ، استغرق
النهار كله تقريبا ، في بداية موسم الحصاد ، وراح البعض
يجمعون أدواتهم ، ويعيدون ماشيتهم إلى حظائرهم ، في حين
انهمك البعض الآخر في جمع المحاصيل ، التي تم حصادها
طيلة النهار ، ووضعها في أكياس ضخمة ، معدة لهذا
الغرض ، وقال أحد المزارعين في ارتياح ، وهو يتطلع إلى
المساحات الشاسعة المزروعة أمامه :

- المحصول جيد هذا العام .. لم أكن أتوقع مثله قط .

ابتسم زميله ، وهو يحكم رباط جوال ضخم ، قائلا :

- ولم لا ؟ .. لقد عملنا بجد طيلة العام ، وكان موسم المطر

جيда ، و ...

قاطعته الأول :

- لا تنس مناوشات الحدود .. أنسيت أن القشتاليين

يرابضون على مسافة قريبة ، وأن خطط ملكهم (فرناندو)

ومليكتهم (إيزابيلا) ، للاستيلاء على ما تبقى من

(الأندلس) ، لم تتوقف أبدا ؟

من بين أوراق التاريخ جاء ..

من قلب الحضارة والأمل ظهر ..

من أجل العدالة والحق كان ..

رمز الماضي والحاضر والمستقبل ..

الفارس ..

فارس الأندلس ..

د. نبيلة فاروق

اعتدل الثاني ، ومسح العرق عن جبينه ، وهو يقول :
- لا .. لم أنس هذا أبدا ، ولم أنس أيضا أنهم يزدادون قوة ،
في كل يوم ، وأن ملوكنا يزدادون ضعفا وتشتتا .
تنهد الأول ، وقال :

- لنا الله (سبحانه وتعالى) .

عادا لمزاولة عملهما مرة أخرى ، ثم لم يلبث الأول أن
توقف قائلا :

- أتظنهم يستعيدون (الأندلس) حقا ؟

توقف الثاني بدوره ، وقال :

- لو بقى حالنا على ما هو عليه ، فأخشى أن ذلك لن يكون
عسيرا ، بالنسبة إليهم .

مط الأول شفثيه في أسف ، وقال :

' - يا للخسارة !

هم بالانحناء لمواصلة عمله ، إلا أنه لمح بطرف عينه
فارسا يقرب ، على صهوة جواد أسود ، فزوى ما بين
حاجبيه ، وهو يراقبه في اهتمام ، قائلا :

- من هذا ؟

توقف معظم المزارعين عن عملهم ، وتطلّعوا في قلق إلى
حيث يشير زميلهم ، وامتلات قلوبهم بالرهبة ، لرؤية ذلك
القادم ، الذي ألقته عليه الشمس ضوءها الأخير ، فبدأ ضخما
رهيبا ، يختفي كله داخل درع معدني ثقيل ، طلى بلون أسود

داكن ، ويرفع بيسراه مشعلا ضخما ، تتطاير منه السنة
اللهب ، ويمتطي جواده الأسود القوي ، في مشهد مخيف ،
بدا أشبه بمشهد شيطاني خرج من أعماق الجحيم ، ليواجه
الدنيا بالنيران والشروع ..

واقترب الفارس الأسود ..

اقترب في سرعة كبيرة ، وجواده ينهب الأرض نهبا ،
ونيران مشعله تتراقص في عنف ، وتشارك مع خيوط الشمس
المحتضرة ، لتلقى على وجهه وهجا مخيفا ، انعكس بعضه
على مجنه (*) ، فتألق ببريق أحمر نارى ، وتألق فوقه ذلك
الشعار ، الذى لم يكد المزارعون يلمحونه ، حتى هتف بعضهم
في ذعر :

- إنه قشتالى .. هذا شعار القشتاليين ..

فجرت الصيحة موجة من الرعب ، بين المزارعين ، فتدافعوا
يحاولون الفرار ، وبعضهم يجاهد لإنقاذ ماشيته ، و ...
ولكن الفارس الأسود بلغ المكان ، بأسرع مما نجحوا هم في
الفرار منه ..

وفى قوة ، ألقى الفارس مشعله ، وسط أجولة المحاصيل ،
فصرخ أحد المزارعين :
- لا .. لا تفعل هذا .

(*) المجن : الترس الذى يمسكه الفارس .

الأجساد والأعناق ، دون أن يفرق بين رجل أو امرأة أو حتى
طفل ..

أنهار من الدماء سالت ، وامتزجت بالأرض الطيبة ..
أرواح عديدة أزهقت ، دون شفقة أو رحمة ..
وغابت الشمس في الأفق ، تاركة تلك النيران تلتهم حصاد
عام كامل ، وتضيء ساحة القتال ..
بل أرض المذبحة ..

ولم يعد باقيا على قيد الحياة سوى الفارس الأسود ،
ومزارع واحد ..

مزارع كهل ، امتلأ قلبه بالرعب ، عندما أدرك أنه آخر
الأحياء ، فانطلق يعدو أمام الفارس الأسود في رعب ،
والفارس يبتعد في تراخ ، وكأنما لم يعد يعنيه الأمر ، حتى تعثر
الكهل ، وسقط على وجهه ، وراح يصرخ :
- لا .. لا تقتلني .. لا .

توقف الجواد الأسود على قيد خطوة واحدة من الرجل ،
وانحنى الفارس يضع ذبابة سيفه على عنق الكهل ، الذي
صرخ في انهيار :
- الرحمة .. الرحمة .

وهنا أطلق الفارس الشيطاني ضحكة مجلجلة رهيبة ، ثم
اعتدل على صهوة جواده ، وأعاد سيفه إلى غمده ، قائلا
بصوت أجش مخيف :

واضطرمت النيران في الأجولة ..

محصول العام كله اشتعل ، أمام أعين الجميع ..
وارتفعت الصرخات ..
وانهمرت الدموع ..
وتفتتت القلوب ..

ولكن كل هذا لم يكن سوى البداية ..

فعلى وهج النيران المشتعلة المتراقصة ، استل الفارس
الأسود سيفه الضخم ، وراح يهوى به على رعوس وأعناق
وصدور المزارعين العزل ..

وتفجرت الدماء ..

وسقطت الرعوس ..

واختطف مزارع شاب شوكة المزروعات الكبيرة ، واندفع
بها نحو الفارس الأسود ، وهو يصرخ :
- لن تفعل بنا كل هذا .. لن نسمح لك .

ضرب صدر الفارس بشوكته الحادة في قوة ، ولكن أسنان
الشوكة تحطمت على درع الفارس ، الذي أطلق ضحكة
شيطانية رهيبة ، ثم هوى على عنق الشاب بسيفه ..
وكان الموقف رهيبا بحق ..

النيران تلتهم المحاصيل ، والفارس الأسود الشيطاني يدور
بجواده في كل مكان ، وسيفه الضخم يهوى بلا رحمة ، على

- حسنا يا رجل .. لن تموت .

لم يصدق الرجل أذنيه ، وهو يرتعد في رعب ، في حين استطرد الفارس ، وهو يجذب عنان جواده :

- إننى أحتاج إلى شاهد واحد على الأقل .

وقهقه ضاحكاً مرة أخرى ، ثم انطلق بجواده مبتعداً ، تاركاً خلفه نهراً جديداً ، يجرى على أرض (الأندلس) ..

نهر أفرزته أجساد ضحاياها ..

نهر من الدم ..

★ ★ ★

لم يكد أول شعاع ، من أشعة الشمس ، يسقط على رأس الجواد (رفيق) ، تلك الجواد العربى الأصيل ، صاحب اللون الأبيض الشاهق ، والمعرفة الناعمة الطويلة ، حتى أطلق صهيلاً خافتاً ، وراح يضرب الأرض بقوائمه فى خفة ، ثم أمال عنقه إلى خيمة قريبة ، وراح يداعب قماشها بمنخره ، وهو يكرر صهيله الخافت عدة مرات ، حتى امتدت يد شابة قوية ، تزيج ستارة الخيمة جانبا ، وبرز من خلفها وجه (فارس) ، الذى مرر أصابعه وسط خصلات شعره الأسود ، وتثاءب فى عمق ، قبل أن يبتسم قانلاً :

- صباح الخير يا (رفيق) .. إننا أول من استيقظ

كالمعتاد .. أليس كذلك ؟ أتاه صوت إلى يمينه ، يقول :

- العكس هو الصحيح يا تلميذى النجيب .

التفت (فارس) إلى (مهاب) ، معلم السلاح ، وقال :

- صباح الخير يا (مهاب) .. هل استيقظت مبكراً ؟

هز (مهاب) رأسه نفياً فى ببطء ، وقال :

- بل لم أنم بعد يا صديقى .

هتف (فارس) فى دهشة :

- لم تنم بعد؟! .. لماذا؟! .. هل حدث جديد؟! .. أين الشيخ؟

أجاب (مهاب) ، وهو يشير إلى الشرق ، إشارة مبهمه :

- لقد رحل الشيخ ، منذ عدة ساعات .

كان هتاف (فارس) مفعماً بالدهشة هذه المرة :

- رحل؟!!

أوما (مهاب) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. أتاه رسول غامض ، قضى معه بعض الوقت ،

ثم صحبه إلى (غرناطة) ، وأنا أنتظر عودته .

فغر (فارس) فاه فى ذهول ، وبقي لحظات يتطلع إلى

(مهاب) فى صمت ، قبل أن يقول فى سخط :

- كل هذا حدث فى الليل ، دون أن أشعر به؟!!

ابتسم (مهاب) مشفقاً ، وهو يقول :

- لقد كنت متعباً بشدة ، بعد رحلة الصيد أمس ، ولم نشأ

يقاظك ، خاصة وأن الشيخ قد رأى ضرورة أن تحتفظ

بجهدك ، حتى ..

قاطعته (فارس) ، في صوت يحمل كل مرارة الدنيا
وحنقها :

- خطأ .. خطأ ..

سأله (مهاب) في حيرة :

- وما الخطأ في أن ينام المرء قليلا ، عندما يكون متعبا
يا ولدي ؟

صاح (فارس) في ضيق :

- الخطأ في أن يستغرق في النوم ، فلا يعود يشعر بما حوله
يا (مهاب) .. ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو أن ذلك الذي جاء
لم يكن رسولا ، وإنما خصما قويا ، أو عدوا غادرا ، أراد ذبحنا
بلا رحمة ، تحت ستار الليل ؟ .. أكان يمتلكنا بهذه البساطة ،
ونحن نفرق في عالم الأحلام ؟ .. لا يا (مهاب) .. هذا خطأ ..
خطأ كبير ..

ابتسم (مهاب) ابتسامة خفيفة ، حاول أن يخفي بها
إعجابه الشديد بتلميذه ، الذي تجاوز مرحلة التعليم
والتدريب ، وبدأ يخطو خطواته الأولى ، في عالم الفروسية
والقتال ، ويضع لنفسه منهجه الخاص ، بعد كل ما تعلمه على
يده ، من فنون الفروسية والقتال ، وكل ما لقنه إياه الشيخ ،
من أصول الحكمة والبلاغة ..

وخيل لـ (مهاب) أنه يرى والد (فارس) ، وقد عاد إلى
الحياة ، ووقف أمامه يتحدث إليه ، عن الضرورات والقواعد
الضرورية للحياة ، ووجد نفسه يندفع فجأة ، قائلا :

- رحم الله والدك يا (فارس) .. كان فارسا عظيما ، لم
يغض عينيه عن أعدائه أبدا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد
نجحوا في خداعه ، وخيانتته ، واغتالوه غيلة وغدرا ، و ...
انتبه فجأة ، من نظرة (فارس) ، التي تفيض باللهفة
والاهتمام ، إلى أنه قد تجاوز الحد المفروض من الحديث ،
فبتر عبارته بغتة ، وتطلع في صمت إلى (فارس) ، الذي
قال في انفعال :

- وماذا يا (مهاب) ؟ .. وماذا ؟ .. أكمل حديثك عن أبي .
لم يكن (مهاب) يرغب في الاستطراد ، تنفيذا لرغبة
الشيخ وأوامره ، ولكن نظرات (فارس) كانت تستحثه على
المواصلة ، فأشاح بوجهه عنها ، وقال محاولا تغيير دفة
الحديث :

- أظن أنه من الأوفق أن تستعد للعمل يا صديقي ، فما من
مرة ، رحل فيها الشيخ عنا إلى (غرناطة) ، إلا وكانت هناك
مغامرة .

ولكن هذه المحاورة لم تخدع (فارس) ، الذي تجاهل قول
(مهاب) ، وتابع في مزيد من اللهفة :

- هيا يا (مهاب) .. أكمل حديثك عن أبي .

٢ - الخوف ..

لم تكد الشمس ترتفع في الأفق ، حتى خرج المزارعون من منازلهم ، وبدأت رحلتهم اليومية نحو المزارع ، لمواصلة جنى محاصيلهم ، وحصاد مزروعاتهم ، في ذلك الموسم ، الذي يحمل إليهم نتاج أعمالهم ، في العام كله .. وفي هذه المرة لم تكن الفرحة تملأ القلوب ..

لم يكن لها مكان ، وسط كل ذلك الخوف ، الذي تنبض به العروق ، وترتجف له الأبدان ..

وعندما بلغ المزارعون حقولهم ، وبدأوا يحصدون مزروعاتهم ، كانت نصف عيونهم تتطلع إلى الأفق في خوف ووجل وقلق ..

الخوف من مبعوث الشيطان ..

ذلك الفارس ..

القارس الأسود ..

ومع هذا الخوف ، الذي يملأ القلوب ، راح الوقت يمضي في ببطء شديد ، وبدأت الدقائق أشبه بالساعات ، والساعات تمضي كالدهور ، حتى انتصف النهار ، وقد بلغ الإعياء منهم مبلغه ، من فرط التوتر والقلق ..

ارتبك (مهاب) ، وأدرك أنه قد وقع في الفخ ، وأن (فارس) لن يتراجع أبدا عن معرفة كل شيء عن الأمر ، وبحث في عقله عن وسيلة للفرار ، ثم لم تلبث الوسيلة أن لاحت له في الأفق ، فهتف مشيرا إليه بسبابته :
- لقد عاد الشيخ .

أدار (فارس) رأسه في سرعة ، إلى حيث يشير (مهاب) ، ثم اندفع فجأة نحو جواده ، ووثب على متنه ، وجذب معرفته ، قائلا :

- هيا نستقبل شيخنا يا رفيق .

انطلق بجواده لاستقبال الشيخ ، فتهجد (مهاب) في ارتياح ، وغمغم :

- حمدا لله .. لن أجدني مضطرا للحديث ، في هذه المرة أيضا .

كان قد نجا من مواجهة (فارس) بالفعل ، وإن كان يعلم عن حق ، أن عودة الشيخ من (غرناطة) ، إنما تعنى بداية مغامرة ..

مغامرة جديدة .

قوية ، بترت عبارته واتسعت عيناه في هلع ، ولوح بكفيه في
الهواء لحظة ، جعلت شقيقه يهب هاتفا في ارتياح :
- ماذا حدث ؟

ولكن الرجل سقط فجأة عند قدميه جثة هامدة ، وقد انغرس
في ظهره سهم أسود رفيع ، فصرخ الشقيق :
- لا .. لا ..

وعندما رفع عينيه إلى الأفق ، وقع بصره عليه ..
على الشيطان ..
الشيطان الأسود ..

وانطلقت صرخات الرعب ، وساد الهرج والمرج ، وراح
الجميع يتدافعون في محاولة للفرار ، ولكن الفارس الضخم ،
بدرعه الأسود المقيت ، أوقف جواده في هدوء ، ثم راح يلتقط
سهامه السوداء من كنانته (*) ، ويدسها في وتر قوسه ، ثم
يصوبها إلى الهاربين ، ويطلقها في استهتار تام ..

واخترقت السهام الصدور والظهور ..
وسقط القتلى ..

مذبحة جديدة شهدتها أرض (الأندلس) ..
مذبحة راح ضحيتها عشرات الأبرياء ..

(*) الكنانة : هي الجعبة التي توضع فيها السهام . خلف الظهر .

وفي ظل شجرة وارفة ، ألقى أحد المزارعين جسده
المكدود ، وهو يقول لشقيقه في تهالك وتوتر بلغا مبلغهما :
- يا له من موسم !.. كان المحصول جيدا ، ولكن ذلك
الشيطان الأسود أتلّف جزءا كبيرا منه ، وأثار الرعب في
المنطقة ، فانخفضت قيمة كل شيء .
غمغم شقيقه في مرارة :

- كان المفروض أن ترتفع الأسعار ، نظرا لقلّة ما يتم
حصاده ، ولكن ذلك الجشع (شالوم) ، يستغل الظروف ،
ويرفض دفع أكثر من نصف الثمن .
هزّ الأول رأسه في أسف ، وقال :

- لقد باعه البعض محاصيلهم بالفعل ، على أن يتولّى هو
مهمة حصادها وجفعتها ، وهو يبتاع الثمار بثمن بخس .. ياله
من يهودى جشع !
تنهد شقيقه ، وقال :

- إنها شيمة هؤلاء القوم .

ثم نهض ليكمل عمله ، وهو يستترد :

- لقد عرض (شالوم) شراء المحصول كله بنصف
الثمن ، على أن يتولّى هو مهمة الحصاد ، ولكنني رفضت
تماما ، وقلت له : إن ذلك الشيطان الأسود لن يجرف على
مهاجمة مزرعتي ، وإلا قطعت عنقه ، و ...

شق الهواء بفتة ذلك الصغير الحاد ، ثم أطلق الرجل شهقة

وكالمعتاد ، أشعل الفارس نيرانه في المحاصيل ، وترك
خلفه شاهداً واحداً ..
وكانت جولة جديدة ، سالت فيها الدماء العربية ..
جولة شيطانية ..

★ ★ ★

.. إنها المرة الثالثة ..
قالها الشيخ في لهجة عجيبة ، تجمع ما بين الضيق والقوة
والغضب والحزم ، وهو يتطلع إلى وجه (فارس) ، الذي
امتعض على نحو واضح ، وهو يهتف :
- العزل .. أيقتل العزل بالفعل ؟

أجابه الشيخ :

- إنه لا يتورع عن ارتكابه أية أفعال .

قال (فارس) في غضب :

- يا للحقير !

أما (مهاب) ، فقد سأل الشيخ في اهتمام :

- ولماذا اختار مدينة (قيجاطة) بالذات ؟

أجابه الشيخ :

- ربما لقربها من المندود مع (قشتالة) ، فالشهود الذين

تركهم على قيد الحياة ، أجمعوا على أن مجننه يحمل شعار

القشتاليين ، ومولاي (ابن الأحمر) ، يميل إلى الظن ، بأن



أوقف جواده في هدوء ، ثم راح يلتقط سهامه السوداء من كنانته ،

ويدسها في وتر قوسه ، ثم يصوبها إلى الهارين ..

ذلك الشيطان الأسود يعبر الحدود ، من مناطق سرية ، ليضرب
ضربته الغادرة الحقيرة ، ثم يعود إلى (قشتالة) ، قبل أن
يتحرك جنودنا للإيقاع به .

هتف (فارس) مستكزرا :

- وأين حاكم المدينة ، ورنيس جندها ؟ .. لماذا
لا يتصدون لهذا الحقير ، ويعملون على حماية رعيّتهم
ومحاصيلهم ؟

تطلع إليه الشيخ في صمت ، ثم قال ، والأسف يتقاطر من
حروف كلماته :

- ربما كان للحاكم يد في هذا .

صاح (فارس) :

- مستحيل !.. إنه عربي .

نظر الشيخ في عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- لماذا تظننا خسرنا ثلاثة أرباع (الأندلس) إنن ؟

أشاح (فارس) بوجهه ، مغمغما :

- ليس هذا هو السبب الوحيد .

- تجاوز الشيخ هذه النقطة ، وقال دون أن يناقشها مع
(فارس) :

- المهم أن هذا الشيطان الأسود قد نجح في إثارة موجة
من الخوف ، لم يسبق لها مثيل ، في تلك المدينة ، المتاخمة
للحدود ، وهذا الخوف سيتمدّ حتماً إلى مدن أخرى ، وسيكمن

في أعماق الناس ، ويزرع في نفوسهم خوفاً مبهماً من
القشتاليين ، يجعلهم غير قادرين على قتالهم فيما بعد ، (لا
إذا ..) (*)

سأله (فارس) في اهتمام :

- (إلا إذا ماذا ؟

تطلع الشيخ إلى عينيه لحظة ، قبل أن يقول في حزم :

- (إلا إذا تم القضاء على ذلك الشيطان .

شدّ (فارس) قامته ، وهو يقول في حزم :

- لن يطول به المقام هنا .

ثم التفت إلى جواده : مستطرذا :

- أليس كذلك يا (رفيق) ؟

حرك الجواد العربي الأصيل عنقه ، وكأنه فهم سؤال فارسه ،

ثم أطلق صهيله القوي ، الذي رددته السهول ..

سهول (الأندلس) .

كنسمة رقيقة حانية ، تسَلَّت الأميرة (جميلة) إلى حجرة
والدها ، ملك (غرناطة) ، وسيد (بنى الأحمر) ، وتوقفت
لحظة ببابها ، تتطلع في قلق إلى والدها ، الذي أسند جبهته إلى
قبضته المضمومة ، في شرفة حجرته بقصر (الحمراء) ، آخر

(*) هذا الأسلوب يعرف حالياً باسم (الحرب النفسية) ..

حصون العرب في (الأندلس) ، وقد رسمت الهموم خطوطها
في وجهه ، وحفرت دروبها في ملامحه ، وأطلت منها في
وضوح ..

وفي إشفاق وتعاطف ، سارت الأميرة نحو والدها ،
ولمست كتفه بأناملها في رفق ، وهي تهمس في حنان :
- أبي .

جفل الملك لحظة ، ثم لم يلبث أن تطلع إليها بكل حنان الأبوة
في أعماقه ، وقال :

- ماذا تطلبين يا بنيتي ؟

جلست أمامه في رقة ، وهي تجيب :

- لم أحضر لأطلب شيئا يا أبي ، وإنما جئت لأنك ستحتاج

حتما إلى من تتحدث إليه ، ولن تجد ، في بلاد العرب كلها ،
أذنا تعشق الإصغاء إليك كأذني .

ابتسم ابتسامة حانية ، وربت على كتفها ، مغمغما :

- بوركت يا بنيتي .

قالت متطلعة إليه في إشفاق :

- سمعت ما يرزده الجميع هنا ، عن ذلك الفارس الأسود ،

الذي يثير الرعب في (قيجاطة) ، ورأيت الشيخ يأتي إلى

هنا ، قبيل الفجر بساعات ، وفهمت كل شيء .

تطلع الملك في شرود إلى (غرناطة) ، بقصورها

وسهولها ، وهو يقول :

- إنه أفضل الحلول يا بنيتي .

سألته في حيرة :

- ولكن لماذا ترسل (فارس) من هنا إلى هناك ، للتصدي

لذلك الفارس الأسود ؟ .. (إنه مجرد قشتالي واحد ، مهما بلغت

قوته ، وكان يمكنك إرسال فرقة للقضاء عليه .

أجابها في شروده :

- وهذا ما ينشده القشتاليون يا (جميلة) ، فالكل يعلم أن

فارسنا قشتاليًا واحدًا قد أثار الرعب ، في جزء من مملكة

(غرناطة) ، ولو أرسلنا فرقة كاملة للتصدي له ، لقال

الناس : إننا لا نستطيع التصدي لفارس قشتالي واحد ، (لا

بفرقة كاملة ، فما بالك بجيش القشتاليين كله !؟

ثم زفر في حرارة ، قبل أن يتابع في حزم وانفعال :

- وكان من الضروري أن نتصدي للفارس القشتالي بفارس

واحد ، يمتلك القدرة على التصدي له ، ويحمل في الوقت ذاته

ذلك الرمز المنشود .

سألته في اهتمام :

- رمز ماذا ؟

أجابها في حسم :

- رمز الفارس .

ثم عاد يلقي بصره على (غرناطة) كلها ، قبل أن يضيف :

- فارس (الأندلس) .

★ ★ ★

بعد يوم وليلة ، قضتھما الجياد ، وهى تنهب الأرض نهبا ،
ومع الخيوط الأولى لأشعة الشمس ، فى فجر اليوم التالى ، بلغ
(فارس) و (مهاب) (قيجاطة) ، ودخلها جوادھما
متهاكین ، والزبد يسيل من شدقيھما ، وقال (مهاب) فى
ارهاق واضح :
- أخيرا .

أجابہ (فارس) وهو يجذب معرفة جواده فى رفق ،
ليخفف من سرعته :

- إنها البداية فحسب يا صديقى .
تمتم (مهاب) :

- نعم .. إنها البداية .

ثم أضاف وهو ينحرف بجواده ، نحو درب من دروب
المدينة :

- سنتجه الآن إلى منزل (سالم بن جسر) .. لقد أرسل
إليه الشيخ رسالته ، وهو ينتظرنا الآن .

سأله (فارس) :

- أعلم طبيعة مهمتنا ؟

أجابہ (مهاب) :

- إنه يعلم كل شيء .
هز (فارس) رأسه فى حيرة ، وقال :
- وكيف أبلغه الشيخ بالأمر ، بهذه السرعة ؟
ابتسم (مهاب) ، وقال :
- للشيخ وسائله

تطلع إليه (فارس) لحظة ، قبل أن يقول :
- إنه (فهد) .. أليس كذلك ؟

هز (مهاب) كتفيه ، وقال :

- أو هو الحمام الزاجل .

قال (فارس) فى حسم :

- لم أر حماما زاجلا ، فى مخيمنا قط .

كان ينتظر جوابا شافيا من (مهاب) ، ولكن هذا الأخير
أشار إلى منزل قريب ، له قبة خضراء صغيرة ، أشبه بقباب
المساجد ، وقال :
- لقد وصلنا .

اجتازا بجواديهما بؤابة المنزل الكبيرة إلى ساحته ، ولم
يكذ (فارس) يهبط عن جواده ، حتى سمع من خلفه صوتا
يتهدج قائلا :

- مرحبا .. مرحبا .. حلتما أهلا ، ونزلتما سهلا .

التفت ليرى رجلا قوى البنيان ، يميل جسده إلى البدانة
بعض الشيء ، له لحية قصيرة ، وشارب معتنى به كثيرا ،

وهو يتجه إلى (مهاب) ، ويصافحه في حرارة شديدة ، وهو يستطرد :

- مرحى يا (مهاب) .. مرحى يا رجل .. مرحبا بسيد الفرسان وقائدهم ، في منزلي المتواضع .

صافحه (مهاب) بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- سنوات طوال لم نلتق يا (سالم) .. لقد ازدت بدانة يا رجل ، ولكنك ما زلت قويًا .. كيف حالك ؟

ضحك (سالم) ، وقال :

- أما أنت فلم تختلف كثيرًا يا صديقي .. وخط الشيب فوديك فحسب ، ولكنك ما تزال كعهدي بك ، مشوق القوام ، متين البنيان .

ثم التفت إلى (فارس) ، وهتف :

- رباه !.. أهذا هو ؟

أجابه (مهاب) في اقتضاب :

- إنه هو .

بقي (سالم) لحظات ، يتطلع إلى (فارس) في انبهار ،

ثم مذيده يتحسس وجهه ، وهو يقول في انفعال :

- إنه صورة طبق الأصل منه .. كأنى به قد عاد إلى

الحياة .. رباه .

ثم انخفض صوته ، وتضاعف انفعاله ، وهو يستطرد :

- مولاي .. مرحبا بك يا مولاي .

كان (فارس) يتمنى لو يسأل الرجل عن والده ، ولكنه كان قد اعتاد أن يكتف عن الجميع الأمر ، فاكتفى بالقول :

- هل وصل (فهد) قبلنا ؟

تراجع الرجل ، وقال :

- من (فهد) هذا ؟

كان (فارس) واثقًا من أن (سالم) يعرف (فهد) جيدًا ، ولكنه لم يشأ مناقشة هذا الأمر أيضًا ، وترك (سالم) يستطرد :

- هيا .. أنتما وجوادكما تحتاجان إلى الراحة والطعام والنوم ، فأمامكم جميعًا مهمة شديدة الصعوبة .

تمتم (فارس) في حزم :

- ليس إلى هذا الحد .

احتفى بهما (سالم) كثيرًا ، وتركهما يغتسلان جيدًا ، ثم

مد مائدة الطعام ، التي حوت كل ما لذ وطاب ، ولكن الفارسين

اكتفيا بلقيمات قليلة ، وهما يستمعان إلى (سالم) ، الذي راح

يقص عليهما كل ما فعله ذلك الفارس الأسود ، ثم قال

(فارس) في اهتمام :

- أتؤمن حقًا بأنه يضرب ضربته في كل مرة ، ثم يجتاز

الحدود ؟

تطلع إليه (سالم) لحظة ، قبل أن يقول في حزم :

- لو أردت رأيي ، فهو يقيم هنا .. بيننا .

هتف (مهاب) مستنكرا :

- هنا .. أواثق أنت يا (ابن جسور) ؟

أشار (سالم) بيده ، قائلا

- أعقلها معي يا (مهاب) .. ذلك الفارس الأسود يعرف

جيذا ، متى يضرب ضربته ، وأين ، وهذا يعني أنه هناك من

ينقل إليه الأخبار والمعلومات ، ثم إن عبوره الحدود في كل

مرة ، يعرضه لمخاطر شتى ، ولاشتباكات غير متوقعة ، مع

فرق الجند والعسكر ؛ لذا فمن الأفضل أن يبقى الفارس الأسود

هنا ، داخل حدودنا ، بحيث يمكنه الظهور وقتما ، وأينما

يشاء .

سأله (فارس) في اهتمام :

- ما الذي قصدته ، بقولك : إنه يعرف جيذا متى وأين

يضرب ضربته ؟ .. إنه يهاجم المزارعين ، والجميع هنا

يخرجون للحصاد يوميا ، في موسم الحصاد .. أليس كذلك ؟

أجاب (سالم) :

- بلى ، ولكن في كل مرة ، يختار الفارس الأسود منطقة

خالية من الجند تقريبا ، ليضرب فيها ضربته ، ولست أدري

كيف يفعل هذا ؟

سأله (مهاب) :

- من المسئول عن توزيع فرق الجنود ؟

لوح (سالم) بكفه ، وهو يجيب :

- الحاكم ، أو رئيس الجند .

تبادل (مهاب) نظرة ذات مغزى مع (فارس) ، الذي قال

في حزم :

- أحدهما ينقل الأسرار ، إلى الفارس الأسود ، إنن .

قال (سالم) :

- هذا محتمل .

بدأت علامات التفكير العميق على وجه (فارس) ، ولكن

ذهنه كان يعجز عن تركيز أفكاره ، على نحو مناسب . وتساءل

هو عن سر هذا ، قبل أن يقول (سالم) ، مجيبا عن تساؤله ،

دون أن يدري :

- لا ريب أن أذهانكما مكدودة ، بعد سفركما الطويل ،

وأظنكما تحتاجان إلى قدر كبير من النوم .

أجاب (فارس) على الفور :

- هذا صحيح .. إننا نحتاج إلى النوم .

وصمت لحظة ، طاف خلالها طيف الفارس الأسود الغامض

بذهنه ، قبل أن يردف في حزم صارم :

- وإلى مواجهة .. مواجهة حاسمة ..

عاد (شالوم) ، التاجر اليهودي إلى منزله ، في منتصف

النهار تقريبا ، واستقبله خادمه النحيل ، ذو الأنف المعقوف ،
وعاونه على الهبوط عن جواده ، فسأله (شالوم) ، همامنا
في لهفة واضحة :

- هل استيقظ الضيف يا (حام) ؟

أجابه الخادم بنفس الهمس :

- نعم يا سيدى .. لقد استيقظ بعد رحيلك بقليل ، وأدى
بعض تدريبات السيف ، في الساحة الخلفية ، ثم تناول طعام
الإفطار ، وكأسا من خمر المفضلة ، وهو الآن في الساحة
الخلفية ، يتدرب على قوسه ونشابه .

أسرع (شالوم) إلى ساحة منزله الخلفية ، وتطلع مبهورا
إلى ضيفه الضخم الجثة ، المتين البنيان ، وهو يطلق سهامه
في سرعة وتتابع ، نحو الهدف المستدير ، في نهاية الساحة ،
لنتزاحم كلها في منتصف الهدف تماما ، ويحطم بعضها
بعضا ، قبل أن يمط الضيف شفتيه ، ويقول في لامبالاة :

- لا بأس .

هتف (شالوم) :

- بل أرى ذلك رانغا يا سنيور (ماريو) .

التفت إليه الضيف في هدوء ، وألقى عليه نظرة
مستهترة ، قبل أن يقول بلغة القشتاليين (*) ، وبلهجة تحمل
شينا من الصرامة :

(*) الإسبانية .

- هل عدت أخيرا ؟

هرع إليه (شالوم) ، وانحنى أمامه في توكير ، وهو
يقول :

- معذرة أن اضطررت للانصراف ، قبيل استيقاظك ياسيد
الفرسان ، ولكن أحد رجالي أبلغني خبرا ، كان من الضروري
أن أتأكد منه ، قبل إبلاغك إياه .

ألقي (ماريو) قوسه ونشابه جانبا ، واتجه إلى منضدة
قريبة ، انتقط من فوقها زجاجة خمر ، صب لنفسه قليلا
منها ، في كأس فضية ، رفعها إلى شفتيه ، وهو يقول في
صرامة .

- أية أخبار تلك ؟

مال (شالوم) نحوه ، وهمس :

- لقد وصل .

برقت عينا (ماريو) ، وهو يقول في انفعال :

- أواثق أنت ؟!

أجابه (شالوم) في لهجة تفيض خبثا ودهاء :

- لقد رآه الرجل بنفسه ، عندما وصل إلى هنا فجر اليوم ،
مع أستاذه ، وقائد الفرسان السابق (مهاب) .. صحيح أنه
لم يكن يرتدى زيه الأبيض ، ولا حرملته الخضراء وخوذته
الفضية ، ولكن ذلك الرسم ، الذي صنعه (يافت) ، ساعد

الرجل في تعرفه فور وصوله ، فتبعه إلى منزل فارس سابق ،
يدعى (سالم بن جسور) ، وهو يقيم هناك الآن .
برقت عينا (ماريو) مرة أخرى ، وهو يقول :
- عظيم .

وجرع كأسه دفعة واحدة ، قبل أن يمسح شفثيه بيده ،
مستطردا :

- داهية هو مليكنا (فرناندو) .. لقد استنتج كل خطوة
سيقدم عليها العرب ، عندما أرسلنى إلى هنا ، وأدرك أنهم
سيحاولون مواجهتى بفارس واحد من فرسانهم ، حتى
لا يضيفوا إلى القصص ، التى ستحاك عنى قوة ، وأنهم
سيختارون هذا الفارس بالذات ..

وابتسم فى جذل ساخر ، وهو يتابع :

- وستكون مواجهة طريفة بالفعل .. مواجهة الأبيض
والأسود .. وسنرى من منا ينتصر .

قالها وأطلق ضحكة رهيبة ، جلجلت فى المكان ..
ضحكة شيطان ..

★ ★ ★

من المؤكد أن (فارس) كان مجهدا بحق ، فلم يكذب يضع
رأسه على الوسادة الناعمة ، فى الحجرة التى قدمها له
(سالم) ، حتى راح فى سبات عميق ..

٣٣

[م ٣ - فارس الأندلس (٤) الفارس الأسود]



هرع إليه (شالوم) ، وانحنى أمامه فى توقير ، وهو يقول :

- معذرة أن اضطررت للانصراف ، قبيل استيقاظك يا سيد الفرسان ..

ولكن عقله لم يهدأ ..

حتى أحلامه ، كانت تدور كلها حول ذلك الفارس الأسود ،
الذي لم يره قط ..

وفي هذه الأحلام ، رسم عقله صورة مخيفة للفارس ..
رسمه عملاقاً من الصلب ، يحمل سيفاً من الفولاذ ، في
حجم شجرة كبيرة ، ويمتطي جواداً مجنحاً ، تشتعل معرفته
لهبا ، وهو يطير فوق رءوس المزارعين ، والفارس يجتزمها
رأساً بعد أخرى ، فتسيل أنهار الدم ، ويتعالى الصراخ ، و ...
وفجأة ، استيقظ (فارس) ..

شيء ما جعل عقله ينهض فجأة ، ويعود إلى عالم الواقع ..
وانتقل الصراخ معه ، من عالم الأحلام ، إلى عالم
الواقع ..

وهب الشاب جالساً على فراشه ، وأرهف سمعه جيداً ..
نعم .. إنها صرخات رعب وفزع ..
صرخات تأتي من بعيد ..
من وسط الحقول ..

ولم يكن هناك وقت للتفكير ..
ولا لإبدال الثياب ..

لقد قفز (فارس) من فراشه ، والتقط سيفه ، ثم اندفع إلى
ساحة المنزل ، واندفع (سالم) خلفه ، يهتف في قلق :
- انتظر يا مولاي .. لا تواجهه وحدك .

ولكن (فارس) وثب على صهوة (رفيق) ، وجذب
معرفته هاتفاً :

- هيا يا (رفيق) .

وقبل أن يضيف (سالم) حرفاً واحداً ، كان الجواد وفارسه
قد عبرا بوابة المنزل ، وانطلقا يسابقان الرياح إلى الحقول ..
واقتربت الصرخات ..

اقتربت ..

واقتربت ..

وأخيراً لاحت الحقول ..

وانقبض قلب (فارس) في ألم ..

لقد كانت المحاصيل تشتعل ، بنيران رهيبة متأججة ،
وجثث القتلى تملأ المكان ، والدماء تسيل أنهاراً ..
وكان هناك مزارع واحد يعدو في رعب ، وفي أعقابهِ
شيطان ..

شيطان أسود ..

وكان المشهد أكثر مما يحتمل (فارس) ، الذي أطلق
صرخة قتالية قوية ، ثم جذب معرفة جواده ، واندفع يخوض
به بحر الدم ..

وهنا توقف الفارس الأسود عن مطاردة آخر المزارعين ..
توقف يرفع رأسه ، الذي تخفيها خوذته السوداء المخيفة ،

ويتطلع إلى (فارس) في اهتمام ، ثم لم تلبث ابتسامته
الساخرة أن اختفت خلف برعه وخوذته ، وهو يقول :

- مرحبا بك يا رمز العرب .

واستل سيفه بدوره ..

واستعد للمواجهة ..

★ ★ ★



٤ - صليل السيوف ..

(غالا) !؟ ..

صرخت الملكة (إيزابيلا) بالاسم في غضب هادر ، وهي
تقف بباب مخدع الملك (فرناندو) ، فانتفضت (غالا) في
ذعر ، وانفلتت من بين ذراعى الملك ، وقالت بصوت
مرتجف :

- مولاتى .. اننى .. اننى ..

قاطعها (فرناندو) ، وهو يقول فى هدوء مثير :

- مرحبا يا عزيزتى (إيزابيلا) .. أهلا بك فى مخدعى

الملكى .

تجاهلته (إيزابيلا) تماما ، وهي تقول لـ (غالا) فى

غضب :

- ماذا تفعلين هنا ؟

ارتبكت (غالا) ، وهي تجيب :

- لم أحضر من تلقاء نفسى .. مولاي الملك هو ..

قاطعها (فرناندو) مرة أخرى :

- أنا أمرتها بالمجىء الى هنا .

التفتت إليه (إيزابيلا) ، وقالت فى حدة :

- لماذا ؟

ابتسم في سخرية ، قائلاً :

- ما السبب في رأيك ؟

قالت في غضب :

- أيها الوقح .

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول في صرامة :

- حذار أن تنطقى حرفاً واحداً ، يهين ذاتي الملكية

يا (إيزابيلا) .. حذار .

احتقن وجهها بشدة ، وهي تتطلع إليه ، ثم لم تلبث أن

لوححت بكفها لـ (غالا) ، قائلة في عصبية :

- فيم تحديقين .. هيا .. انصرفي .

همت (غالا) بمغادرة المكان ، لولا أن قال (فرناندو)

في صرامة :

- إنني لم أفرغ منها بعد ، ولن تغادر المكان إلا بأمرى .

بدا الغضب الشديد على وجه (إيزابيلا) ، ولكنها لم تجد

أمامها سوى تجاهل أمر (غالا) مؤقتاً ، حفاظاً على وقارها

الملكى ، فقالت لـ (فرناندو) في حدة :

- حسناً .. أتيت لسؤالك عن سير خطتك فحسب .

صب لنفسه كأساً من الخمر ، ارتشف منها رشفة صغيرة ،

قبل أن يبتسم قائلاً :

- كل شيء يسير على ما يرام .. قوة (ماريو) ودرعه

الأسود نجحا تماماً ، في إثارة الخوف والفرع ، في

(قيجاطة) ، ولقد حدث ما توقعته تماماً ، فأرسل

(ابن الأحمر) فارسه الأبيض ، للتصدي لفارسنا ، وأراهناك

أن (ماريو) سيلقن ذلك الفارس الشاب درساً لن ينساه أبداً .

ثم ابتسم ساخرًا ، وهو يضيف :

- ألقصد لن نجد الوقت لينساه .

كانت تعلم أن خطته ذكية ، ولكنها شعرت في أعماقها

بالرغبة في إثارته وإذلاله ، فقالت في ازدياد :

- وماذا لو انكشف أمر فارسك ، قبل أن تنتهي مهمته ؟

هز كتفيه ، وقال :

- لن يكون هذا سهلاً ، فهو يختفى في منزل (شالوم) ..

أكبر تجار المدينة ، و (شالوم) هذا على صلة وثيقة

بالحاكم ، وبرئيس الجند والشرطة ، وهو يعرف منهما كل

تحركات الجنود ، ولن يشك أحدهما في أمره قط .

قالت في لهجة استفزازية :

- وماذا لو حدث ما لا تتوقعه ؟

ارتشف رشفة أخرى من كأسه ، وقال :

- عندئذ سيقاتل (ماريو) قتال الأبطال ، ولن يسمح لهم

بالإيقاع به أبداً .

قالت ساخرة :

- ومن سيقنعه بالقتال على هذا النحو ؟

أجابها (فرناندو) مبتسماً :

- المكافأة التي وعدته بها .

قالت في عصبية :

- ما من مكافأة ، يمكنها إقناع فارس مستهتر عابث مثل

(ماريو) ، بالتضحية بحياته ، من أجل فكرة حمقاء .

فهقه (فرناندو) ضاحكاً ، وقال :

- بل هناك مكافأة ، ينذر أن يقاومها أي رجل .

سألته (إيزابيلا) في حذر :

- وما هي هذه المكافأة ؟

أطلق ضحكة أخرى ، قبل أن يقول :

- بل قولي : من هي ؟

ثم التفت إلى (غالا) ، مستطرذا :

- إنها أنت .. أنت يا عزيزتي (غالا) .

وجلجلت ضحكاته مرة أخرى ..

★ ★ ★

لوح (فارس) بسيفه ، وهو ينطلق بجواده نحو الفارس
الأسود ، الذي توقف في موضعه صامتاً ، ساكناً ، ودرعه
الأسود يشترك مع لون جواده ، في منحه مظهرًا رهيبًا بحق ،
وهو يرفع سيفه مستعدًا للقتال ..

وعندما التقى الخصمان ، أطلق (فارس) صيحة قتالية
رهيبة ، وهوى بسيفه على سيف خصمه ، الذي استقبل
السيف بحد سيفه ، وصلصلت السيوف وسط بحر الدماء ،

وراحت تتقارع في مهارة وقوة ، تشف عن بأس صاحبيها ،
قبل أن يتباعدا في حركة حادة ، ويقول (فارس) بلغة
القشتاليين :

- ضرباتك قوية أيها القشتالي ، ولكنها تفنقر إلى
المرونة .

أجابه الفارس ، من خلف خونته المعدنية السوداء ، التي
منحت صوته رنينًا مخيفًا ، وترنذا رهيبًا :

- لا شأن للمرونة بقتال الفرسان .

هتف (فارس) ، وهو ينقض عليه :

- من قال هذا ؟

وهوى بسيفه نحوه ، مستطرذا :

- إنني أتدرب دائمًا على تفادي الضربات .

استقبل الفارس الأسود سيف (فارس) على مجنه ، ثم
أزاحه بعيدًا ، وهوى بسيفه هو على عنق (فارس) ، قائلاً :

- أما أنا فأتدرب فقط على توجيهها .

مال (فارس) جانبًا في مرونة ، وتفادى ضربة السيف
الضخم ، ثم دفع سيفه نحو صدر الفارس ، قائلاً :

- ثرى أينما يربح ؟

ضرب سيفه صدر الفارس ، ثم ارتد عن الدرع المعدني في
عنف ، مطلقًا رنينًا عنيفًا ، تردد صداه في المكان ، والفارس
يقول ساخرًا :

- يمكنك استنتاج هذا .

ثم دفع مجنّه فجأة في وجه (فارس) ، وطوّح سيفه في معدته ، مستطرذا :

- ولن يطول الوقت لهذا .

ارتطم المجنّ بوجه (فارس) ، ومزقت ذهابة السيف بطن قميصه ، فتراجع في حركة سريعة ، وسمع الفارس الأسود بضيف بلهجته الساخرة :

- وداعاً يا فارس العرب .

وهوى سيف القشتالي على صدر (فارس) ، فتراجع هذا الأخير أكثر وأكثر ، متفانيا طعنة السيف ، فانقض عليه الفارس مرة ثالثة ، وأمسك مقبض سيفه بقبضتيه مجتمعين ، وهوى بنصله القوي على سيف (فارس) ، هاتفا :

- وداعاً إلى الأبد .

رفع (فارس) سيفه ، للتصدي لسيف الأسود ، ولكنه شعر وكأن شجرة ضخمة ، من أقدم أشجار الغابة ، قد هوت على سيفه ، فانتزعته من بين أصابعه ، وألقت به بعيداً ..

وطار سيف (فارس) في الهواء ..

طار السيف الفضي الشهير ، وتراقص بضع مرات ، قبل أن يسقط وسط الحقول ..

وبضحكة عالية مجلجلة ، صاح الفارس الأسود :

- خسرت يا فارس العرب .

ورفع سيفه مرة أخرى بقبضتيه ، ثم هوى به مرة ثانية ..

وفي هذه المرة ، كان السيف القشتالي يستهدف عنقاً ..

عنق (فارس) ..

(فارس الأندلس) ...

استيقظ (مهاب) جزعاً ، على صوت (سالم) ، وهو

يهتف به :

- استيقظ .. استيقظ يا رجل .

هَبَّ (مهاب) جالساً على طرف فراشه ، وهو يقول :

- ماذا حدث؟.. ماذا هناك ؟

أجابته (سالم) ، في صوت يتفجّر منه الانفعال تفجراً .

- لقد ظهر الفارس الأسود مرة أخرى .

بخرت العبارة كل ما تبقى في رأس (مهاب) ، من آثار

النعاس ، فهتف :

- ظهر؟!.. وأين (فارس) ؟.. هل أيقظته ؟

أجابته (سالم) في توتر :

- لقد استيقظ وحده ، وانطلق على الفور نحو الحقول ؛

لمواجهة ذلك الفارس وحده .

قفز (مهاب) من الفراش ، والتقط حزام سيفه وغمده ،
وثبتهما حول وسطه ، وهو يقول :
- وهل ارتدى حلته البيضاء ؟
هز (سالم) رأسه نفياً ، وهو يجيب :
- إنه لم ينتظر ليفعل ، وإنما حمل سيفه ، وقفز على صهوة
جواده ، وانطلق بأقصى سرعته نحو الحقول ، دون أن ينتظر
موازرة .

اندفع (مهاب) خارج حجرته ، وهو يقول في قلق :
- لابد أن نلحق به إننا يا رجل .. هيا بنا .
كان الخدم قد أسرجوا جوادين وثب فوقهما (مهاب)
و (سالم) ، وصحبهما ثلاثة من رجال هذا الأخير ، وانطلق
الجميع نحو الحقول ..
وفي أعماقه ، كان (مهاب) يشعر بالقلق ..
لم يكن يدرك بالضبط مدى قوة ذلك الفارس الأسود ، الذي
يروى الجميع حكاياته ، وكأنه أسطورة من عالم الجن ..
وكان يخشى أن يواجه (فارس) تلك الأسطورة وحده ..
بخشى أن تحطم تلك المواجهة الغرض من قدومهما ،
وتقوى شوكة القشتالي ..
وعندما بلغ الحقول مع الرجال ، وقع بصره على ذلك
المشهد الرهيب ..

مشهد (فارس) ، وقد تجرد من سلاحه ، مواجهها الفارس
الأسود ، الذي رفع سيفه بقبضتيه ، وهوى به على عنقه ..
وبلا رحمة ..
وأطلق (مهاب) شهقة قوية ، عندما هوى السيف
الضخم ..
وهوى قلبه معه ..
بين قدميه ..

رأى (فارس) السيف الضخم بهوى على عنقه ، فانحنى
بأقصى سرعة وليونة ، حتى انثنى جسده إلى اليمين في شدة ،
وهو يتشبث بمعرفة (رفيق) وسمع أزيز السيف ، وهو يشق
الهواء فوق رأسه مباشرة ، مع صوت الفارس يهتف :
- اللعنة !

ثم فجأة تلقى (فارس) ركلة عنيفة في فخذه ، وهو ينحنى
إلى أقصى اليمين ، فأفلت جسده من فوق حصانه ، وفقد
توازنه ، وسقط أرضاً في عنف ..
وأطلق (رفيق) صهيقاً احتجاجياً ، وهو يلتفت لالتقاط
صاحبه ، ولكن الفارس الأسود انقض مرة أخرى على
فارسنا ، وحاول أن يهوى على عنقه بضربة سيف أخرى ،
قفز (فارس) يتفادها في خفة ، ولكن ذبابة السيف مزقت
قميصه ولحم كتفه اليسرى ، وأسالت دمه ..

ورفع الفارس الأسود سيفه مرة أخرى ، في نفس اللحظة
التي هتف فيها (مهاب) من بعيد :
- تماسك يا (فارس) .. سنصل إليك الآن ..
رفع الفارس الأسود وجهه ، وتطلع عبر ذلك الشريط
المستطيل في خوذته ، إلى القادمين ، ثم قال :
- نجوت هذه المرة أيها المحظوظ .
ولوى عنان جواده الأسود ، وانطلق يعدو به مبتعدًا ..
وفي حزم ، انطلق (فارس) نحو جواده ، وأمسك
معرفته ، ليقفز على صهوته ، هاتفاً :
- خلفه يا (رفيق) .

ولكن جرح كتفه أصابه بالأم رهيبة مبرحة ، جعلته يطلق
أهة قوية ، ثم تفلت يده المعرفة في حركة غريزية ، فيسقط
على ظهره ..

وبلغ (مهاب) والآخرون موقعه ، فقفز (مهاب) عن
صهوة جواده ، واندفع إليه ، هاتفاً :

- أنت بخير يا (فارس)؟! .. أنت بخير ؟
صاح به (فارس) في ألم :

- اتبع ذلك الوغد أولاً يا (مهاب) .. اتبعه ..

ولكن الفارس الأسود كان قد اختفى هناك ، خلف ستار
الدخان الكثيف ، الذي ينبعث من المحاصيل المحترقة ، فقال
(مهاب) في مرارة :



وأطلق (رفيق) صهيلًا احتجاجيًا ، وهو يلتفت لالتقاط صاحبه ، ولكن
الفارس الأسود انقض مرة أخرى على فارسنا ..

- لم تعد هناك فائدة يا ولدى .. لم تعد هناك فائدة .
ولكن (فارس) تملص من يديه ، وهتف :
- لا .. لن يقلت أبدا .

تشبث مرة أخرى بمعرفة (رفيق) ، وحاول أن يقفز على
صهوته ، ولكن الدنيا أظلمت فجأة أمام عينيه ، وسقط ..
سقط في بحر عميق ..
بحر من الظلمات ..

★ ★ ★

رفع (شالوم) كأسه الفضية عاليا ، وأطلق ضحكة
مجلجلة ، وهو يقول في لهجة ظافرة :

- نخب فارسنا العظيم ، الذي لم يهزمه أحد .

ابتسم (ماريو) في استخفاف ، وهو يرفع كأسه بدوره ،
ثم يخفضها ليرتشف رشفة من خمر (شالوم) الخاصة ، قبل
أن يقول :

- ولن يهزمه أحد .

هتف (شالوم) في جنل :

- بالطبع .

وارتشف بدوره رشفة من كأسه ، ثم قال ضاحكا :

- من الواضح أنك أصبت ذلك العربي إصابات مبرحة ، فقد

نقلوه إلى منزل (سالم بن جسر) فأقد الوعي ، منذ يومين ،
لم يستيقظ خلالهما قط .

عقد (ماريو) حاجبيه في شك ، وهو يقول :

- لم تكن إصاباته بهذه الخطورة .

ابتسم (شالوم) في خبث ، وقال :

- يالك من متواضع يا فارس الفرسان .

ارتشف (ماريو) رشفة أخرى من كأسه ، ثم سأل

(شالوم) فجأة :

- لماذا تعاوننا بكل هذا الحماس يا (شالوم) ؟

ارتجفت الكأس في قبضة (شالوم) لحظة ، ثم لم يلبث أن

ابتسم قائلا :

- ولم لا أتعاون معكم ياسيد الفرسان .. مليكك يعلم جيدا

أن جنسي كله لا يميل إلى هؤلاء العرب ، وأننا نبغض تفوقهم

في أي مجال ، ونعلم أن مستقبلنا معكم سيكون أفضل كثيرا .

ابتسم (ماريو) في سخرية ، قائلا :

- أهذا فقط هو السبب ؟

أجابه (شالوم) :

- هناك المال أيضا ، فغاراتك المستمرة على الحقول ،

وحرقت للمحاصيل ، أقنع العشرات من المزارعين ببيع

محاصيلهم لي ، قبل حصادها ، وبنصف ثمنها فقط ، ولا

يخفى عليك أننى سأربح الكثير ، والكثير جدًا من المال ، كما
أننى سأحتكر المحاصيل هذا العام ، والقاعدة لدينا تقول : من
يمتلك الطعام ، يمتلك القرار .

مط (ماريو) شفتيه ، قائلًا :

- يا لك من داهية :

ابتسم (شالوم) ابتسامته الخبيثة ، ورفع كأسه مرة
أخرى ، قائلًا :

- ما أنا إلا تلميذ فاشل ، فى مدرستكم أيها القشتالى .
وجرع الكأس دفعة واحدة ..

★ ★ ★

يومان كاملان قضاهما (فارس) بصارع الحمى
والمرض ..

يومان كاملان فقد خلالهما الوعي ، وراح يهذى باسم
الشيخ ، و (مهاب) ، و (فهد) ..

ثم تماثل للشفاء فى نهاية اليوم الثانى ، واستعاد وعيه مع
منتصف ليله ، ففتح عينيه يتطلع إلى وجهى (سالم)
و (مهاب) ، قبل أن يغمغم فى تهالك :

- يا الهى !.. يخيل إلى أننى نمت يوما كاملا .

تهذج صوت (مهاب) ، وهو يقول :

- بل يومين يا ولدى .. حمدا لله على سلامتكم .. حمدا لله .

ومسح (سالم) دمعة انحدرت من عينيه ، وهو يقول
بابتسامة حنون .

- شفاك الله وعافاك يا مولاي .. سأمر بإعداد الطعام لك ،
فلا ريب أنك تشعر بجوع شديد .

أراد (فارس) أن يعترض حياة ، ولكنه شعر بضعفه
الشديد ، وتهالكه ، فلزم الصمت ، وترك (سالم) يذهب
لإعداد الطعام ، وسأل هو (مهاب) فى ضيق :

- هل هزمنى ذلك الفارس الأسود ؟

نظر إليه (مهاب) فى إشفاق ، وقال :

- لا يمكنك أن تقول هذا يا ولدى .. لقد قاتلت فى بسالة ،

و ...

قاطعه (فارس) :

- ولكنه هزمنى .. قلها يا (مهاب) .. قلها .. الاعتراف
بالحق فضيلة .

تردد (مهاب) لحظه ، ثم قال :

- لا يمكننا اعتبار ما حدث هزيمة لك يا ولدى ، ولا حتى
انتصارا له ، فلقد تواجها فى ظروف غير طبيعية ،
وانفصلتما قبل أن ينحسم قتالكما .

قال (فارس) فى مرارة :

- ولكننى لم أظفر به ، وهذا يعنى أنه هزمنى .

اسرع (مهاب) يقول :

- وهو لم يظفر بك أيضا ، مما يعنى أنه لم ينتصر .

لوح (فارس) بكفه ، قائلا :

- كيف تسمى ما حدث إذن ؟

أتى من باب الحجرة صوت غاضب صارخ ، يقول :

- أسميه (حماقة) .. حماقة وسوء تصرف .

التفت الاثنان بسرعة الى مصدر الصوت ، وهب (مهاب)

واقفا في احترام ، في حين هتف (فارس) في دهشة :

- أنت ؟

وكان أمامهما آخر شخص يتوقعان رؤيته ..

الشيخ ..

اندفع قائد الحرس الملكى الخاص ، عبر أروقة قصر

(فرناندو) و (ايزابيلا) ، فى قلب (قرطبة) ، حتى بلغ

حجرة الملك ، فدق بابها فى لهفة واضحة ، وانتظر حتى سمع

صوت (فرناندو) يقول :

- ادخل .

دفع الرجل باب الحجرة ، وتقدم الى منتصفها ، وانحنى

أمام مليكه ، وهو يقول :

- وصل رسول من (قيجاطة) ، يحمل رسالة خاصة

يامولاي .

سأله (فرناندو) فى اهتمام :

- وأين هذه الرسالة ؟

ناوله الحارس رقفا من الجلد ، فرده (فرناندو) أمام

عينيه ، وطالع عباراته فى اهتمام ، ثم برقت عيناه ، وهو

يقول :

- عظيم .

سأله قائد الحرس الخاص :

- أكل شيء يسير على ما يرام يا سيدي ؟

أجابته (فرناندو) فى جدل :

- بل أفضل مما يرام .. لقد واجه فارسنا فارسهم ، واشتبك

معه فى مبارزة قصيرة ، أسفرت عن هزيمة فارسهم ،

وإصابته بإصابات مبرحة .

هتف قائد الحرس الخاص فى لهفة :

- إذن فقد حانت اللحظة يا سيدي ..

أشار إليه (فرناندو) ، قائلا :

- ليس بعد يا رجل .. إننا سننتظر المواجهة الثانية ، عندما

يقتل فارسنا فارسهم ويمثل بجثته أمامهم ، فنتحطم روحهم

المعنوية تماما ، وعندئذ تغير عليهم فرق جنودنا ، وتسقط

أرضهم فى أيدينا .

وابتسم فى جدل ، وهو يستطرد :

٥ - الحكمة ..

مضت لحظات من الصمت والرهبة ، و (فارس)
و (مهاب) يتطلعان إلى الشيخ ، حتى قطع هو حبل الصمت ،
وهو يتجه إلى فراش (فارس) ؛ قائلاً :

- كأنى بك لم تتعلم شيئاً ، من كل ما لكنتك إياه .

اعتدل (فارس) جالساً في إعياء ، وهو يقول :

- سيدي .. لقد بذلت ما بوسعي .

قال الشيخ في غضب :

- بل أهدرت قواك دون طائل .

ارتبك (فارس) ، وهو يهمهم :

- كان يقتل الأبرياء ، والعزل و ...

لوح الشيخ بكفه ، قائلاً :

- واندفعت أنت كالحمقى ، لمواجهته وقتاله ، دون أن تعلم

عنه شيئاً ، ودون أن تدرس قوة خصمك ودفاعاته .. أهذا

مالكنتك إياه ؟

حاول (مهاب) أن يتدخل ، ففهم :

- سيدي .. إنها فورة الشباب ، وحماسه الـ ..

قاطعته الشيخ في صرامة :

- أهذا ما تلقنه إياه ؟

- وبهذا تنتقل حدودنا إلى (قيجاطة) ، كخطوة أولى ،
لغزو مملكة (غرناطة) كلها .

سأله القائد في اهتمام :

- هل أصدر الأوامر لفرق الجنود بالتأهب ياسيدي .

أوما (فرناندو) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا قائد الحرس .. أصدر الأوامر لفرقتين ، من أقوى

فرقتنا ، للاستعداد على حدود مملكة (غرناطة) .. بل اجعلها

ثلاث فرق ، وأرسل إلى فارسنا الأسود ، تطلب منه استفزاز

الفارس العربي مرة أخرى ، بحيث تحدث بينهما مواجهة

جديدة . ومره بأن تكون هذه المواجهة حاسمة ، نهائية ،

بحيث يقتل الفارس العربي في نهايتها ، ثم يرسل إلينا على

الفور ، لتبدأ فرقنا الثلاث هجومها بلا هوادة ، قبل أن تجف

دماء الفارس العربي .

سأله قائد الحرس :

- وماذا عن (شالوم) .. ذلك التاجر اليهودي ؟

أجاب (فرناندو) :

- ستنتهي مهمته مع مصرع الفارس العربي ، وعندئذ

سيكون أول ما تفعله فرقنا ، عند دخولها (قيجاطة) ، هو

أن تقتله .

وجلجت ضحكته داخل القصر ..

القصر الملكي .

★ ★ ★

بهت (مهاب) ، وتمتم في ارتباك :

- كلا .. كلا بالطبع .

ثم انتحي جانبا ، ولاذ بالصمت التام ، وأفسح المجال للشيخ ، الذي لوح بيده ، وراح يقول في غضب :
- كنت تواجه خصما قويا ، يتسلح بدرع متين ، وغموض مهيب ، ويثير في النفوس الرعب والقلق ، والمواجهة معه لن تعنى مجرد مواجهة بين فارسين ، وإنما ستكون رمزا لمواجهة القشتاليين ، والتصدي لقوى الشر والعدوان ، وعندما يتجاوز القتال نتائج المادية ، إلى كونه رمزا ومعنى أشمل وأعم ، فمن الضروري أن يدرس المرء موقفه جيدا ، قبل أن يقدم على قتال عنيف ، قد تكون خسارته فيه هي بداية خسارة للعرب جميعهم .

سأله (فارس) في خضوع :

- وماذا كان ينبغي أن أفعل ؟

أجابه الشيخ في حزم :

- تدرس خصمك جيدا ، وتعرف كل مواطن قوته وضعفه ، ثم تضع خطتك في عناية ورعاية ، وتعمل على اجتذاب خصمك ، إلى الموعد والمكان ، اللذين يمكنك أنت مواجهته فيهما ، ثم توقعه في الفخ ، وتنزع عنه كل مقومات القوة ، وبعدها تضرب ضربتك .

أوما (فارس) برأسه ، قائلا :

- فهت .

ثم سأل الشيخ :

- ولكن ماذا تفعل أنت هنا ياسيدي ؟

أجابه الشيخ في صرامة :

- ليس هذا من شأنك .. لك مهمتك ، ولي مهمتي .

قال (فارس) في حذر :

- ولكننا نسعى لهدف واحد .. أليس كذلك ؟

أجاب الشيخ في اقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم استدار يغادر الحجرة ، قائلا :

- لا تتسرع في المرة القادمة ، ولا تضرب ضربتك إلا

عندما تحين اللحظة المناسبة .

غمغم (فارس) :

- سأفعل .

غادر الشيخ المكان ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن

يقول (فارس) :

- إنه على حق .. لقد كنت متسرعا .

قال (مهاب) :

- فلنحمد الله على أن القتال لم ينته بعد .

حاول (فارس) أن ينهض من فراشه ، إلا أنه شعر بضعف

شديد ، فهتف :

- الطعام يا (مهاب) .. لن يمكننى القتال ، وأنا أتضور
جوعاً ، على هذا النحو .

كان قد عقد العزم على أن يقاتل بكل قوته هذه المرة ..
وأن ينتصر بإذن الله ..

ولكن بقى سؤال حائر ، يتردد فى ذهنه ..
ماذا يفعل الشيخ هنا ؟ ..

وبقى السؤال بلا جواب ..

★ ★ ★

بدا القلق على وجه (شالوم) ، وهو يدلف إلى حجرة
(ماريو) ، قائلاً :

- طاب مساؤك يا سيد الفرسان .. أخشى أننى لا أحمل
أخباراً سارة هذا الصباح .

التفت إليه (ماريو) فى هدوء ، وهو يقول :

- وما الذى تحمله بالضبط يا رجل ؟

أجاب (شالوم) :

- لقد استعاد الفارس العربى وعيه وصحته .

ابتسم (ماريو) فى استهتار ، وقال :

- أهذه هى الأخبار غير السارة ؟

قال (شالوم) :

- ليس هذا فحسب ، ولكنهم يقولون : إن ساحة منزل

(سالم بن جسور) قد تحولت إلى ميدان تدريب ، وأن الفارس

العربى ، الذى استعاد قوته بهذه السرعة المدهشة ، بدأ
تدريباته مع الفجر .

ابتسم (ماريو) فى سخرية ، وقال :

- فليتدرب ما شاء له أن يفعل .. لن يجعله هذا يفوقنى قط .

ثم تسأل الجدل إلى صوته ، وهو يضيف :

- بل سيصبح قتالنا أكثر متعة .

حاول (شالوم) أن يبتسم فى شحوب ، وهو يقول :

- ليتنى أتفعل مثلك يا سيد الفرسان .

أجاب (ماريو) فى خشونة :

- دع عنك التفاؤل والتشاؤم أيها اليهودى ، ولتكتف أنت

بجمع الأموال وتكديسها ، وسأتولى أنا مهمة القتال .

وبرقت عيناه ، مع استطراداته :

- ولن يمضى أسبوع واحد ، حتى تصبح (قيجاطة)

قشالية .

وعادت إليه ابتسامته الساخرة ..

★ ★ ★

هوى (مهاب) بسيفه على سيف (فارس) فى قوة ،

والتقى السيفان بصليل قوى ، ثم افترقا ، وعادا يلتقيان أكثر

عنفاً ، و (مهاب) يقول :

- لماذا التركيز على قوة الضربات هذه المرة

يا (فارس) ؟ .. لقد علمتُك أن المِراوغة والمناورة هي الأفضل ، وليست القوة وحدها .

أجابه (فارس) ، وهو يتلقَى ضربة قوية على سيفه :
- لقد انتزع ذلك الشيطان الأسود سيفي ، بضربة عنيفة ،
في قتالنا السابق يا (مهاب) ، ولن أسمح له بفعل هذا ثانية .
عاد (مهاب) يضرب سيفه بعنف أكثر ، وهو يقول :
- ولكن ماذا ستفعل بدرعه الصلب .. إن سيفك سينكسر
على صدره ، ولن يبلغ جسد خصمك قط .

صدّ (فارس) الضربة ، وشعر بعضلاته تكاد تتمزق من قوتها ، ولكنه احتفظ بسيفه في قبضته ، وهو يقول :
- لا بد من إجباره على خلع هذا الدرع إذن .

هتف به (مهاب) ، وهو يضرب سيفه بقوة :
- وكيف تجبره على هذا ؟

أجابه (فارس) ، وهو يلهث :
- سنجد وسيلة .

ثم أشار إلى (مهاب) بالتوقف ، وقال :

- يبدو أنني أحتاج إلى تدريب طويل ، قبل أن أتصدى لذلك الفارس .

ابتسم (مهاب) ، وقال :

- أنت تبالغ يا بني ، فهأنذا تصد ضرباتي العنيفة لساعة كاملة ، دون أن تفقد سيفك مرة واحدة .

قال (فارس) في اقتضاب :

- هذا لا يكفي .

وأعاد سيفه إلى غمده ، مستطرذا :

- هل أرسل (سالم) ، في طلب الأشياء ، التي أحتاج إليها ؟

أناه صوت (سالم) من خلفه ، يقول :

- ولقد وصل كل شيء .

تقدّم منهما مبتسماً ، وخلفه اثنان من خدمه ، يحملان درعاً من الفولاذ ، تم طلاؤه باللون الأسود ، ليمائل درع الفارس تماماً ، وجعبة تحوى عدداً من السهام ، ذات الرعوس البراقة ، وقوساً متيناً ..

وفي لهفة ، التقط (فارس) جعبة السهام ، وراح يفحصها في اهتمام ، فتحسّس (مهاب) رأس أحدها ، وسأل في حيرة :

- ما هذه الرعوس الزجاجية ؟

أجابه (فارس) :

- إنها ليست زجاجية يا (مهاب) ، بل هي رعوس من الماس .

هتف (مهاب) في دهشة :

- رعوس من الماس؟! هل تستخدم سهاماً لها رعوس من الماس؟!
الماس؟!
الماس!؟

التقط (فارس) القوس الضخم ، وشذ وتره القوي في ارتياح ، ثم دس فيه أحد السهام ، ذات الرعوس الماسية ، وقال للخادمين :

- ضعا الدرع الأسود هناك .

وضع الخادمان الدرع الفولاذي حيثما أشار ، فصوب إليه (فارس) سهمه ، وقال في هدوء :

- الماس واحد من أصلب المعادن ، على وجه الأرض ، كما أخبرني الشيخ في صباي ، وقد يفلح في اختراق الدرع الصلب .

أطلق سهمه نحو الدرع ، المماثل لدرع الفارس الأسود ، فارتطم به السهم في قوة ، ثم ارتد عنه في عنف ، فهتف (مهاب) :

- لقد فشلت الفكرة .

لم يعلق (فارس) على قوله ، وإنما اتجه في هدوء إلى الدرع ، وانحنى يفحصه في اهتمام ، قبل أن يعتدل قائلاً :

- هذا يكفيني .

مضى (مهاب) بدوره إلى حيث الدرع ، وفحصه في اهتمام مماثل ، وتحسس بأصابعه ذلك التجويف ، الذي صنعه السهم فيه ، دون أن يخترقه ، وقال :

- ولكنه لم ينجح في اختراقه .

ابتسم (فارس) ، وهو يعود إلى موضعه ، ويضع سهمًا آخر في وتر القوس ، قائلاً :

- هذا بالنسبة للسهم الأول .

سأله (مهاب) في دهشة :

- ماذا تعني ؟

ولكن (فارس) لم يجب ، وإنما أطلق السهم في حزم وسرعة ، وأطلق (سالم) شهقة إعجاب ، ولم يتمالك نفسه من الهتاف :

- رائع .. عظيم .

كان السهم ، ذو الرأس الماسية ، قد أصاب نفس الموضع ، الذي أصابه السهم الأول بدقة مذهلة ، فاخترق التجويف هذه المرة ، وغاص في الدرع الفولاذي ، فهتف (مهاب) :

- يا للروعة !!

هز (فارس) رأسه ، وقال :

- لا بأس بهذا .

ثم عاد يفحص الدرع الفولاذي ، قائلاً :

- هذا لو سمح لي ذلك الفارس ، بإطلاق سهمين متتاليين نحوه .

قال (سالم) :

- ليست هذه هي المشكلة في رأيي ، بل المشكلة الحقيقية

هي جذب الفارس إلى الفخ ، ودفعه إلى الزمان والمكان ،
الذين نختارهما لمواجهة .

أشار (فارس) إلى رأسه ، قائلاً :

وهذا ما أدرسه منذ ليلة أمس .

وشرد ببصره لحظات ، قبل أن يستطرد :

- إننا نحتاج إلى طعام قوى .. قوى للغاية .

ثم استل سيفه مرة أخرى ، وهتف :

- وإلى هذا الحين ، سنعاود تدريباتنا يا عزيزي

(مهاب) .

وتقارعت السيوف مرة أخرى ..

هب حاكم (قيجاطة) من كرسيه ، لاستقبال الشيخ ، الذي
دخل قاعة الحاكم في نهاية ووقار ، فصافحه الحاكم في
حرارة ، وهو يقول :

- مرحبًا يا سيدي الوزير .. مرحبًا بك في قصرى هذا .

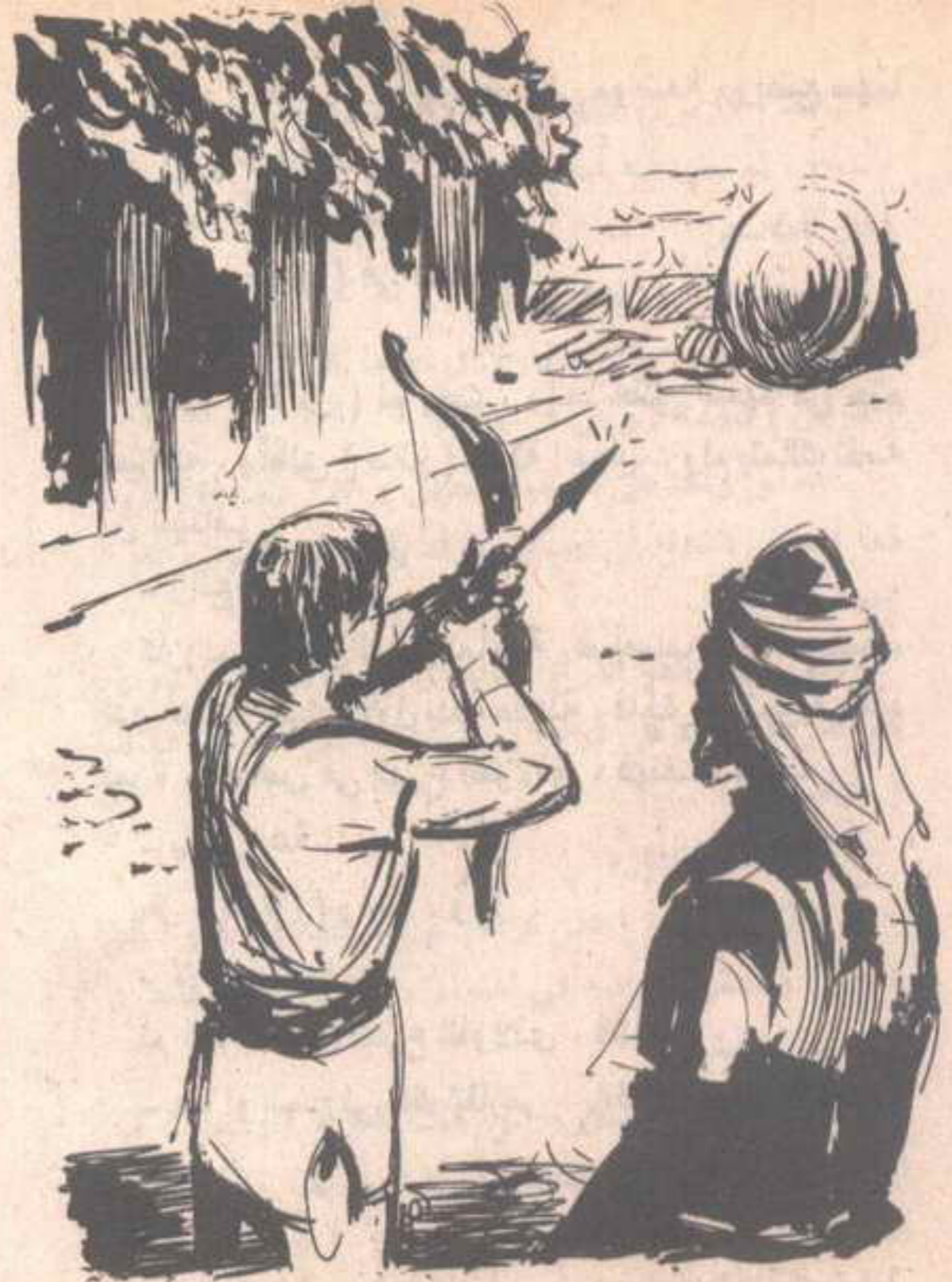
أجابه الشيخ في تواضع هادئ :

- لم أعد وزيرًا أيها الحاكم ، فلا تخاطبني بهذا اللقب .

سأله الحاكم في دهشة :

- كيف ؟! لقد أخبروني أنك قادم من قبل مولاي الملك ،

فتصورت أن ..



ابتسم (فارس) ، وهو يعود إلى موضعه ،

ويضع سهمًا آخر في وتر القوس ..

قاطعہ الشیخ :

- لا تتصور شيئاً ..

بدأت الحيرة على وجه الحاكم لحظات ، ثم قال ، وهو يدعو للجلوس إلى جواره :

- فليكن يا سيدى .. ما الذى تحمله من (غرناطة) ؟
جلس الشيخ فى وقار ، وقال :

- ما أحمله لا يدور فى (غرناطة) أيها الحاكم ، وإنما هنا ، على مقربة من موطن حكمك ، عند الحدود مع القشتاليين .

رفع الحاكم حاجبيه ، وهتف :

- عند الحدود؟! .. ماذا يحدث عند الحدود ؟

هز الشيخ رأسه فى أسف ، وقال :

- يبدو أن جنودك لا يتميزون باليقظة أيها الحاكم ، أو أنهم يفتقرون إلى الأمانة والإخلاص ، وهذا بالغ الخطورة ، بالنسبة إلى بلدة متاخمة للحدود مع خصومنا ، فى هذه الأيام .
انتفض الحاكم ، وهو يقول :

- جنودى ماذا؟! .. إنك تلقى اتهامات بالغة الخطورة أيها

الشيخ ، وكرامتى تأبى سماع ما تقول ، و ...

قاطعہ الشیخ فى حزم :

- هناك ثلاث فرق قشتالية ، تحتشد عند الحدود ..

ما معلوماتك عن هذا أيها الحاكم ؟

لانتفض الحاكم مرة أخرى فى ذهول ، ورنث فى جزع :

- ثلاث فرق؟! .. عند الحدود ؟

أجابه الشيخ :

- نعم يا سيادة الحاكم .. هذه الفرق تحتشد استعداداً لهجوم

مباغت ، عندما تأتى إشارة البدء من موطن حكمك .

بلغ ذهول الحاكم ذروته ، وهو يهتف :

- من هنا ؟

ثم هب من مقعده ، صانحاً :

- من أين جئت بهذه المعلومات أيها الشيخ ؟

أجابه الشيخ فى هدوء :

- لدى أساليبي الخاصة .

هتف الحاكم فى غضب :

- من الضرورى أن أعرف .

قال الشيخ :

- المهم هو أن تتخذ القرار ، أما بالنسبة للتأكد ، فيمكنك

أن ترسل فرقة استطلاع .. هذا شأنك .

صمت الحاكم لحظات ، وهو يتطلع إلى الشيخ ، ثم سأله

فى اهتمام بالغ :

- ومن سيعطى إشارة البدء هذه ؟

أجابه الشيخ :

- كيف ؟

أجابته الشيخ في هدوء :

- سأخبرك كيف .

وراح يشرح ما لديه ..

ارتسم مزيج من القلق والتوتر ، على وجه اليهودي (شالوم) ، وهو يعبر تلك الأزقة الضيقة ، في أبعاد أحياء المدينة ، وراح يتلفت حوله في خوف ، عندما اقترب من باب خشبي ضخم ، طرقة في حذر ، وانتظر لحظات ، حتى انفتح الباب ، وظهر من خلفه عملاق ضخم الجثة ، غليظ الملامح ، رمق اليهودي بنظرة صارمة ، وهو يقول في خشونة :

- ماذا تريد ؟

ارتجف اليهودي ، وهو يجيب :

- أريد مقابلة (شيلوك) .

رمقه الضخم بنظرة شرسة طويلة ، ارتجفت لها الدماء في عروقه ، قبل أن يفسح الطريق أمامه ، قائلا بخشونته :

- ادخل .

عبر اليهودي الباب إلى ساحة ضخمة ، تنتهي بباب خشبي آخر ، سبقه إليه الضخم ، وفتحته على مصراعيه ، وأشار إليه بالدخول ، إلى قاعة شبة مظلمة ، جلس داخلها عدد من

- الفارس .. الفارس الأسود .

انعقد حاجبا الحاكم في شدة ، وكأنما يدرس الأمر كله في اهتمام ، ثم لم يلبث أن قال في حدة :

- أوافق أنت من قولك هذا أيها الشيخ ؟

أجابته الشيخ في وقار :

- تمام الثقة أيها الحاكم .

بقى الحاكم لحظات ، يتطلع إليه في حذر ، ثم قال في حزم :

- فليكن .. سأخذ ما يلزم من الإجراءات .

سأله الشيخ :

- ماذا ستفعل ؟

أجابته في صرامة :

- سأحشد كل فرق الجند ، في مواجهة القشتاليين عند

الحدود ، و ..

قأطعه الشيخ :

- خطأ .

تطلع إليه الحاكم في دهشة ، قبل أن يقول في عصبية :

- وماذا تقترح أنت ؟

ابتسم الشيخ ابتسامة رصينة ، وهو يقول :

- أقترح أن نترك للقشتاليين تحركاتهم ، ونحاول الإفادة

منها إلى أقصى حد .

سأله الحاكم ، وقد تسأل الاهتمام إلى صوته كثيرا :

الرجال الأشداء ، لم يكذب أحدهم يلمح اليهودي ، حتى هب واقفا ، وفرد ذراعيه القويتين عن آخرهما ، وهو يهتف :
- (شالوم) .. عمي (شالوم) .. أي رياح شريرة أقت بك هنا ؟

صافحه (شالوم) بأصابع مرتجفة ، وقال :

- أهلا يا ابن أخي العزيز .. كيف حالك ؟

فهقه (شيلوك) ضاحكا ، وقال :

- واعماه .. لا داعي لإضاعة الوقت يا رجل .. (نك لم تأت إلى هنا لتسأل عن أحوالي .. هيا .. أخبرني ماذا تريد ، وكم ستدفع هذه المرة .

ازدرد (شالوم) لعابه ، وقال :

- حسنا يا (شيلوك) .. حسنا .. هل سمعت عن ذلك الفارس ، الذي حضر إلى منزل (سالم) ، منذ ثلاثة أيام ؟ أجابه (شيلوك) في خبث :

- أتقصد ذلك الذي قاتل الفارس الأسود ، وبقي على قيد الحياة ؟ .. نعم يا عماه .. إنني أعرفه جيدا ، وأحد رجالي يراقب تدريباته منذ الفجر .

عض اليهودي شفتيه ، وقال :

- هذه هي المشكلة ، فالفارس العربي يتدرب في حماس ، في حين يقضى القشتالي معظم أوقاته نائما ، أو محتسبا

الخمر ، في صحبة حسناء ، وهذا يعني أن المواجهة التالية لن تأتي لصالح القشتالي أبدا .

سأله (شيلوك) :

- وماذا تطلب يا عماه ؟

أجابه (شالوم) في حذر :

- أريد رأس الفارس العربي .

أطلق (شيلوك) ضحكة قصيرة ، وقال :

- فليكن يا عماه .. كم ستدفع مقابل هذا ؟

بدا الضيق على وجه اليهودي ، وهو يقول :

- أنت ابن أخي يا (شيلوك) يا ولدي ، و ...

قاطعه (شيلوك) في خشونة :

- كم ستدفع .

ازدرد اليهودي لعابه ، وقال :

- خمسون قطعة ذهبية .

فهقه (شيلوك) ضاحكا ، وقال :

- يا لك من شحيح قذر يا عماه !! .. هذه المهمة تحتاج إلى

عشرة رجال على الأقل ، وكل منهم يتقاضى مائة قطعة ذهبية .

صاح اليهودي في هلع :

- ألف قطعة ذهبية !! .. أتطلب ألف قطعة ذهبية

يا ابن أخي ؟

كانت الشمس قد بدأت رحلتها ، من كبد السماء إلى المغرب ، عندما عاد الشيخ إلى منزل (سالم) ، وتطلع إلى (فارس) ، الذي لم ينته من تدريباته بعد ، وهو يصوب سهامه ، ذات الرعوس الماسية ، إلى الدرع الأسود ، ثم سأل (مهاب) :

- ما الذي يفعله الفتى ؟

أجاب (مهاب) في احترام :

- إنه يبحث عن وسيلة لاختراق درع الفارس الأسود ، وهو يستخدم سهاماً ذات رعوس ماسية ، ويقول : إنك أخبرتني أن الماس أصلب معادن الأرض .

هز الشيخ رأسه في وقار ، وقال :

- الماس ليس أصلب معادن الأرض ، ولكنه أكثرها قدرة ، على خدش غيره من السطوح (*) .

لم يفهم (مهاب) ما يعنيه الشيخ ، فسأله :

- أي معنى هذا أنه يستطيع اختراق الدرع ؟

(*) يطلق على هذه السمة اسم (الصلادة) ، فالصلابة هي قدرة المادة على كسر غيرها من المواد ، أما الصلادة ، فهي قدرتها على خدش غيرها من السطوح ، وفي هذا الشأن يكون الزجاج أقل صلابة من الفولاذ ، ولكنه أكثر صلادة منه .

أجابه (شيلوك) في خشونة :

- بل أكثر يا عماء ، فلم أذكر نصيبي الشخصي بعد ، ثم أن اختفاء ذلك العربي من الساحة يفسح الطريق أمام فارسك الأسود أكثر وأكثر ، ويدفع عدداً أكبر من المزارعين إلى بيع محصولاتهم بنصف الثمن ، و ...

قاطعته (شالوم) ، وهو يلوح بكفه ، هاتفاً :

- حسنا .. حسنا .. سادفع كل ما تطلبه ، ولكن بشرط واحد ..

وضغط أسنانه في ممت ، وهو يستطرد :

- أن يلقى ذلك العربي مصرعه .. وقبل الفجر .
وابتسم (شيلوك) في ثقة .



واضاف في سرعة :
- ولكنني أرسلت رجال (سالم) ؛ لاستطلاع بعض
الأمور ، وجمع الكثير من المعلومات ، وما عادوا به سيمنحني
الكثير ، مما أحتاج إليه بإذن الله .

تمتم الشيخ :

- عظيم .

ثم شد هامته ، مستطرذا :

- الآن يمكنني بدء رحلة العودة .

هتف (فارس) في دهشة :

- العودة؟! .. هل ستركنا وحدنا وتعود يا سيدي ؟

أجابه الشيخ في صرامة :

- لقد كنتما وحكما بالفعل .

وتتم (مهاب) :

- هذا صحيح .

تدخل (سالم) ، قائلاً :

- ولكنك لن تسافر ، في هذا الوقت المتأخر .. ابق حتى

الصباح على الأقل .

أجابه الشيخ :

- لا وقت لهذا يا ولدي .. مولاي الملك ينتظر ما لدى من

أخبار ، بفارغ الصبر ، وتأخري في العودة يثير قلقه كثيراً .

قال (سالم) :

أجابه الشيخ :
- هذا يتوقف على وسيلة استخدامه .
وتابع ببصره (فارس) ، وهو يطلق بهامه على الدرع ،
قبل أن يستطرد :

- ولكن ليس بوساطة القوس والنشاب بالتأكيد .

سأله (مهاب) في لهفة :

- كيف إذن ؟

قطع (فارس) فرصة حصول (مهاب) على الجواب ،

وهو يتقدم نحوهما ، هاتفاً :

- مرحباً بعودتك يا سيدي .. هل أثمرت رحلتك ؟

أجابه الشيخ في هدوء :

- أثمرت كثيراً .. ماذا عن تدريباتك أنت ؟

قال (فارس) ، في لهجة تغلب عليها الثقة :

- إنها تسير بنجاح كبير ، فقد اعتاد (رفيق) مواجهة

الدرع الأسود ، واعتدت أنا أيضاً التعامل معه ، وسهامي

يمكنها اختراقه ، لو أصاب كل سهمين بقعة واحدة منه ، و ...

قاطعته الشيخ .

- أيكفي هذا ؟

صمت (فارس) لحظة ، ثم هز رأسه ، قائلاً :

- لا .. لا يكفي .

- اننى أقدر هذا .

ثم أضاف فى حزم :

- ولكن سيصحبك بعض رجالى ، حتى حدود

(غرناطة) .

هم الشيخ بالاعتراض ، ولكن (سالم) قال فى إصرار :

- ولا تحاول مناقشة هذا .

ابتسم الشيخ ، وقال

- فليكن يا ولدى .. ستسعدنى صحبتهم كثيرا .

صافحه الجميع فى حرارة ، وعندما جاء دور (فارس) ،

قال فى أسف :

- كنت أتمنى أن تبقى ، لتشهد هزيمة ذلك الشيطان الأسود

على الأقل .

ملأ الشيخ عينيه بصورته ، قبل أن يقول :

- ثقنك هذه تكفينى يا ولدى .

وربت على كتفه فى حرارة ، ثم تركه يعاونه على امتطاء

جواده ، ولوح بكفه ، قائلا بابتسامة هادئة وقور :

- سنلتقى فى مخيمنا بإذن الله .

وبدأ رحلة عودته إلى (غرناطة) ، وتابعه الجميع

بابصارهم ، وهو يسير وسط حراسه ، حتى اختفى بين

الدروب . فقال (فارس) فى حزم :

- والآن هيا نعود إلى تدرجاتنا .

وامتشق حسامه ..

وصلصت السيوف مرة أخرى ..

وقفت (غالا) أمام الملكة (إيزابيلا) ترتجف ،

محاولة تحاشي تلك النظرات الغاضبة ، التى تطل من عيني

الملكة ، قبل أن تقول تلك الأخيرة فى صرامة :

- ما الذى ذهب بك إلى مخدع الملك ؟

أجابتها (غالا) فى ارتباك شديد :

- صدقيني يا مولاتى .. لست أرغب أبدا فى الذهاب إلى

هناك ، ولكن كيف لى أن أعصى أوامر مولاي .

صاحت بها (إيزابيلا) :

- قولى له : إن هذا يفضبنى .

ترددت (غالا) لحظة ، ثم قالت فى خفوت :

- إنه لا يبالي بهذا .

احتقن وجه الملكة ، وارتسم عليه مزيج من السخط

والغضب ، ثم لم تلبث أن تعالكت نفسها ، وقالت فى حزم ،

محاولة تجاهل الأمر :

- وماذا عن ذلك الفارس .. (ماريو) ؟ .. أترغبين فى

الزواج منه بالفعل ؟

لم تكد الشمس تختفى في الأفق ، حتى شعر (فارس) بكل
عضلة في جسده تنن في ألم وإرهاق ، بعد تدريب شاق ،
استغرق نهاره كله ، وهتف به (مهاب) ، وهو يلقي سيفه
جانبا :

- رياه .. لم أعد لأحتمل .

ابتسم (سالم) ، في مزيج من الإعجاب والإشفاق ، وهو
يقول :

- إنكما تتقاتلان طيلة النهار .

جفف (فارس) عرقه الغزير ، وقال :

- هذا حتمي يا عماد ، فوقتنا قصير كما تعلم .

ثم سأله في اهتمام :

- هل عاد رجالك بالمعلومات المطلوبة ؟

أوما (سالم) برأسه إيجابيا ، وقال :

- نعم .. وستناقش كل شيء حول مائدة الطعام .

لم تمض نصف الساعة ، حتى جمعتهم مائدة الطعام ، وقال

(سالم) :

- يقول الرجال : إن (شالوم) يستضيف في منزله ضيفا

مجهولا ، لا يظهر إلا لعاما ، ولا أحد يعرف من هو ، ولا

السبب الذي جاء من أجله ، ويدعى (شالوم) أنه ابن عم له

من (حيفا) ، جاء لزيارته ، وإقامة علاقات تجارية معه .

قال (مهاب) مستكرا :

بدت المرارة واضحة في صوت (غالا) ، وهي تقول :

- مولاي هو الذي يرغب في هذا .

سألته (إيزابيلا) في حدة :

- وماذا عن رغبتك أنت ؟

كادت كلماتها تبكي ، وهي تجيب :

- وكيف لي أن أعترض ، على أوامر مولاي ؟

تطلعت إليها (إيزابيلا) لحظة في صمت ، ثم قالت :

- أتعلمين يا (غالا) .. أنا أيضا أميل إلى زواجك من

(ماريو) .

هتفت (غالا) كالمصدومة :

- مولاتي .. تصورت أنك ..

قاطعتها (إيزابيلا) في صرامة :

- هذا يبعدك عن (فرناندو) على الأقل .

أدركت (غالا) أنها صارت السلاح الأمثل ، الذي يضرب

به الحاكم بعضهما البعض ، فخلضت عينيها ، متمتمة في

استسلام :

- كما تأمر مولاتي .

ولكنها في أعماقها ، كانت تشعر بكراهية ومقت لا حد

لها ..

وكانت هذه الكراهية تستعد للانفجار ..

وبشدة ..

★ ★ ★

- أيقظ يهودى كل هذه المسافة ، من أجل زيارة ابن عم له ؟

أما (فارس) ، فقال فى اهتمام :

- أراهن أن ابن العم هذا ضخم الجثة ، متين البنيان ، يمتطى جوادا أسود .. أليس كذلك ؟

ابتسم (سالم) ، وقال :

- هذا صحيح .. كما أنه يتحدث بلغة القشتاليين ، عندما يدور الحديث بينه وبين (شالوم) ، فقد تسأل أحد رجالى إلى حيث حجرة الضيف ، وأرهف سمعه للحديث جيدا .

قال (فارس) فى انفعال :

- إذن فهو ضالتنا .

هتف (مهاب) :

- بالتأكيد .

ثم سأل (سالم) :

- وماذا عن الحاكم ، ورئيس الجند والشرطة ؟

أجاب (سالم) :

- علاقة الحاكم بـ (شالوم) علاقة ضعيفة ، تقتصر على

تبادل بعض الهدايا ، أما رئيس الجند ، فهو يزور (شالوم) كثيرا ، ومن الواضح أن العلاقات بينهما قوية أكثر مما ينبغى .

قال (مهاب) فى اهتمام :

- أنتظن رئيس الجند خاننا ، ينقل إليه المعلومات ، عن تحرك الجند وفرق الشرطة ؟

هز (فارس) رأسه نفيا ، وقال :

- لا أظن هذا أبدا .. ليس كنوع من التعصب لعروبتي ، وإنما لأسباب منطقية تماما ، فلو أن رئيس الجند خانن ، لما احتاج القشتاليون إلى كل هذه الخطة ، لبت الرعب فى (قيجاطة) ، وتمهيد الطريق لاحتلالها .. الأرجح أن الرجل يولى (شالوم) هذا ثقة كبيرة ، مما لا يمنعه من أن يتحدث أمامه عن تحركات الجنود والفرق ، وهذا خطأ كبير ، ولكنه لا يبلغ مرتبة الخيانة .

مضت لحظة من الصمت ، بعد عبارة (فارس) الأخيرة ،

قبل أن يقول (سالم) :

- هل تحتاج إلى معلومات أخرى ؟

هز (فارس) رأسه نفيا ، وقال :

- بل أحتاج إلى أحد رجالك ، للقيام بمهمة خاصة .

سأله فى اهتمام .

- أية مهمة ؟

أجاب فى هدوء :

- لقد أبلغنى (مهاب) أن الشيخ لا يثق كثيرا فى سهامنى ،

ذات الرعوس الماسية ؛ لذا فأنا أحتاج إلى سلاح آخر ، يقضى

على فاعلية درع الفارس الأسود ، الذي يعجز سيفي عن
اختراقه .

سأله (مهاب) في اهتمام :

- وما هو هذا السلاح ؟

قال (فارس) في غموض :

- ستعرفه عندما يحضره أحد رجال (سالم) يا صديقي ،

من رجل يقيم في مدينة (بسطة) القريبة ، يقال له :
(الدمشقي) .

ثم التفت إلى (سالم) ، قائلاً :

- أيمن إرسال أحد رجالك الآن ؟

أجابه (سالم) في حماس :

- على الفور .

هب ليرسل أحد رجاله إلى (الدمشقي) ، في حين سأله

(مهاب) (فارس) مرة أخرى في فضول :

- ما هذا السلاح بالضبط ؟

لوح (فارس) بكفه ، قائلاً :

- إنه سائل بسيط يا صديقي .. مجرد سائل ، يُجيد

(الدمشقي) صنعه

قال (مهاب) في دهشة :

- أي سائل هذا ، الذي يمكنه هزيمة درع فولاذي قوي ؟

عاد (فارس) يبتسم في غموض ، وهو يقول :

- ستري يا صديقي .. ستري .

ثم استطرد في سرعة :

- أظن وقت النوم قد حان ، فالأجساد المتعبة لا تقوى على

القتال جيداً .

نهض (مهاب) يتثأب ، قائلاً :

- صدقت .

أوى كل منهما إلى فراشة ، وراى صمت هادئ على المنزل

كله ، إلا من وقع أقدام رجال الحراسة ، وهم يسرون جينة

وذهاباً ، في ساحتي المنزل ، الأمامية والخلفية .

ثم انقطع وقع الأقدام هذه بغتة ، وصدرت جلبة خافتة

مكتومة ، عاد الصمت بعدها يسود تماماً ..

وفي صمت وخفوت ، تسلفت أقدام عشرة رجال ، عبر

الساحتين ، إلى المنزل ، وانطبعت آثار دماء الحراس على

أرض المنزل ، ثم توقف بعض الرجال عند باب حجرة

(فارس) ، وتوقف البعض الآخر عند باب حجرة (مهاب) ،

في حين وقف (شيلوك) وأحد رجاله ، أمام باب حجرة

(سالم) ، وأشار (شيلوك) إلى رجاله العشرة ، وهمس :

- الآن يا رجال ..

وبهجمة رجل واحد ، اقتحم الرجال العشرة الحجرات

الثلاث ، وهم يطلقون صرخات قوية مخيفة ، تجمد الدماء في

العروق ..

وقفز (مهاب) من فراشه فزعا ، ورأى الرجال الخمسة
ينقضون عليه ، فقفز إلى سيفه ، والنقطة في حركة سريعة ،
ليصد ضربة سيف غادرة ، ثم تراجع صارخا :
- خيانة .. خيانة .

أما (فارس) ، فقد بوغت بالهجوم ، وهب من فراشه
بدوره ، وهم بالتقاط سيفه ، ولكن ضربة من قدم أحد الرجال
أطاحت بالسيف بعيدا ، في حين اندفعت السيوف الخمسة نحو
(فارس) ، الذي قفز جانبا ، وكال لأقرب الرجال إليه لكمة
كالقنبلة ، ثم اختطف سيفه ، وراح يقاتل به الرجال الأربعة
الآخرين في استماتة ، وبلغته صرخة (مهاب) ، ثم صليل
السيوف في حجرة (سالم) ، وتكالب عليه الرجال الأربعة ،
في نفس اللحظة التي تلقى فيها (مهاب) ضربة سيف في
ساعده ، أسقطت سيفه ، فانقض عليه الرجال الخمسة ،
وتكالبوا عليه ، وكتبوا ساعديه وقدميه ، وهو يواصل
صراخه :

- خيانة .. خيانة .

دفعه الرجال خارج حجرتة ، والتقوا في الممر الخارجى
بـ (شيلوك) وزميله ، وهما يدفعان (سالم) إلى الخارج ،
وهتف (شيلوك) في سخرية :

- هيا .. بقى الثالث .. احضروهم إلى الساحة الخلفية .

تكالب الباقون على (فارس) ، الذى قاتل فى شراسة ،
وأردى أحدهم قتيلا ، وأصاب الثانى إصابة مميتة ..
ولكن ، الكثرة تغلب الشجاعة ، كما يقولون ..

لقد سقط الرجال الثلاثة ، ودفعهم (شيلوك) ورجاله إلى
الساحة الخلفية ، وقهقه (شيلوك) ضاحكا فى ظفر ، وحمل
سيف (فارس) الفضى يلوح به فى الهواء ، قائلا :
- انتهت اللعبة يا رجال ، وربح (شيلوك) وعصابته
كالمعتاد .

قال أحد الرجال ، فى لهجة أقرب إلى الزمجرة :
- لقد فقدنا (حاليم) و (بنجامان) .. قتلها ذلك
الشاب .

هتف (شيلوك) :

- سينال جزاءه إنن .. سيكون أول من يطير رأسه .

ثم أشار إلى رجاله : مستطرذا :

- هيا .. احضروه إلى هنا .

جذب الرجال (فارس) فى عنف ، وهو يهتف فى غضب :

- أيها الأوغاد الحقرء .

أما (مهاب) ، فراح يصرخ :

- لا .. اتركوا (فارس) .. اتركوه .

صاح (فارس) فى صرامة :

- لا تتضرع إليهم يا (مهاب) .

٧ - فى ظلام الليل ..

أطلقت الأميرة (جميلة) شهقة فزع مكتومة ، وهى تهب من رقادها ، وراح جسدها ينتفض فى قوة ، وهى تطلق شهقات متتالية ، وتضع يدها على قلبها ، فأسرعت وصيفتها تشعل المصابيح ، وتهرع إليها هاتفة فى جزع :

- ماذا حدث يا مولاتى ؟.. ماذا حدث ؟

أجابتها الأميرة ، وهى تلهث من فرط الانفعال :

- كابوس .. كابوس رهيب .

جلست الوصيفة على طرف الفراش ، وقالت :

- أى كابوس هذا يا أميرتى ؟

أجابتها الأميرة ، وجسدها ينتفض فى شدة :

- (فارس) .. رأيت (فارس) .

سألته الوصيفة فى حيرة :

- أى (فارس) هذا ؟

قالت الأميرة ، وصوتها يتهدج :

- (فارس) .. ذلك الشاب الذى أنقذنى من الأسر ، فى

(قرطبة) (*) .

تراجعت الوصيفة ، قائلة فى خبث :

(*) راجع قصة (الأميرة الأسيرة) .. المغامرة رقم (٢)

دفع (شيلوك) (فارس) أمامه فى عنف ، وجعل رجاله يجبرونه على السقوط على ركبتيه ، هاتفا :

- نعم لا تجعله يتضرع إلينا يا فتى ، فلن يفيدك هذا كثيرا

ثم رفع سيفه ، وقال فى سخرية :

- وداغا يا فارس العرب .

وهوى سيفه على عنق الفارس ..

(فارس الأندلس) .

منسى الرقيقى
للعرب

لولو



- آه .. ذلك الوسيم .. وهل تعدّ رؤيته في الأحلام كابوساً
يا مولاتى ؟

أجابتها الأميرة ، وعيناها تترقرقان بالدمع :

- رأيتُه يواجه خطراً رهيباً .

سألتهَا في اهتمام :

- أى خطر هذا يا مولاتى ؟

وضعت كفها على صدرها مرة أخرى ، وكأنما تحاول

تخفيض ضربات قلبها العنيفة ، وهى تقول :

- رأيتُه راكعاً على قدميه ، فى ساحة إعدام ، والجلاد يقف

عند رأسه ، مخفياً وجهه بقناع أسود سميك ، ورافعاً بِلطته ،

استعداداً للهبوط بها على عنق (فارس) ، و ... و ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، فشهِقت فى قوة ، وأخفت

وجهها بكفيها ، وأجهشت بالبكاء ، فربّبت الوصيْفَةَ على

كتفيها فى حنان وإشفاق ، وقالت :

- إنه قلقك عليه فحسب ، هو الذى دفع تلك الأحلام إلى

رأسك ، فأنت تعلمين أنه الآن يواجه ذلك الفارس الأسود ، فى

(قيجاطة) ، وذلك الكابوس يعكس خوفك عليه ، وحتى

الجلاد ، ذو القناع الأسود ، ما هو إلا رمز للفارس .

استمعت إليها الأميرة فى اتوتر ، ثم هزت رأسها ، قائلة :

- لاليس هذا هو التفسير الصحيح .. أنت تعلمين أن أحلامى

غالبًا ما تكون صحيحة ، وأنا أشعر بالفارق بين الأحلام



أطلقت الأميرة (جميلة) شهقة فزع مكتومة ، وهى تهبّ من رقادها ،

وراح جسدها يتنفض فى قوة ، وهى تُطلق شهقات متتالية ..

العادية ، وتلك التي يشعر بها قلبي ، فتنقل إلى رأسي .. هذا
الحلم حقيقي .. أنا واثقة من أن (فارس) يواجه الان خطراً
داهما .

رَبَّت الوصيفة على كتفيها مرة أخرى ، وهي تقول :
- من الواضح أن لـ (فارس) هذا مكانة خاصة في قلبك
يا أميرتي .

تخضب وجه الأميرة بحمرة الخجل ، وهي تَحْرَن .
- أية مكانة تقصدين ؟

مالت نحوها الوصيفة ، وهمست :
- تلك المكانة ، التي تجعل قلبك يشعر به عن بعد .
وخفت صوتها أكثر ، وهي تهمس مستطردة :
- الحب .

خفق قلب الأميرة مرة أخرى في عنف ، وأخجلها أن تطرق
وصيفتها هذه النقطة ، بكل هذا الوضوح ، ولكن قلبها لم يلبث
أن تناسى هذا ، إزاء شعوره بأن (فارس) يواجه الخطر ..
خطر الموت ..

★ ★ ★

ارتفع سيف (شيلوك) ، وهوى على عنق (فارس) ،
وأغلق (سالم) عينيه في ألم ، واتسعت عينا (مهاب) في
ذعر ، وانطلقت صيحة الألم ..

وتجمد الموقف لحظة ..

لم تكن صرخة الألم قد انطلقت من حلق (فارس) ، وإنما
من بين شفتي (شيلوك) نفسه ، الذي اخترق يده سهم قوی ،
انتزع منها سيفه ، وألقاه بعيداً ، قبل أن يقطع عنق
(فارس) ..

والتفتت العيون كلها إلى تلك البقعة ، التي انطلق منها
السهم ..

إلى سطح منزل (سالم) ..

وهناك ، فوق سطح المنزل ، وأمام قرص القمر
المستدير ، الذي بدا في تلك الليلة بالذات ، أكبر وأضخم من
حجمه الطبيعي ، بدا ذلك الظل الأسود القوي ..

ظل عملاق أسود ، مفتول العضلات ، متين البنيان ، يقف
في شموخ واعتداد ، ممسكاً قوس (فارس) القوي ، وجعبته
الكبيرة ..

وبكل اللهفة في أعماقه ، هتف (مهاب) :
- (فهد) !؟ ..

ومع آخر حروف كلماته ، قفز الزنجي من فوق السطح ،
وهبط على قدميه ، في مواجهة (شيلوك) ورجاله ، فصاح
هذا الأخير في غضب :

- اقتلوا هذا الوغد .. اقتلوه يا رجال .

استل رجاله سيوفهم ، واتجهوا نحو الزنجي ، الذي ظل
جامدا صامتا ، يخفي ضوء القمر الآتي من خلفه ، ملامحه ،
ويبعث فيه رهبة ومهابة ..

ثم امتشق الزنجي حسامه بغتة ، وانطلقت من حلقه صرخة
قوية ، رددت المدينة كلها صداها ، وارتجفت لها الأجنة ، في
بطون أمهاتهم ..

ثم انقض (فهد) ..

ومع انقضاضته ، هب (فارس) ، واقفا ، وهو يهتف :

- مرحى يا رجال .. لقد وصل ملائنا الحارس ..

قفز يركل ذلك الرجل ، الذي كان يضع سيفه على عنقه ،
ثم التقط السيف ، واستدار يواجه الرجال الثلاثة الآخرين ،
الذين يحرسون (مهاب) و (سالم) ، ولمح من طرف عينه
سيف (فهد) ، وهو يهوى على عنق أحد الرجال ، ثم ينقض
على صدر آخر ، ويغوص في معدة ثالث ..

إعصار أسود رهيب ، أصاب (شيلوك) وعصابته ..

وتساقط اليهود كالذباب ، فألقى (شيلوك) ورجاله
الثلاثة ، الذين تبقوا على قيد الحياة أسلحتهم ، وصاح
(شيلوك) في انهيار :

- الرحمة .. الرحمة ..

توقف (فهد) عن القتال على الفور ، وألقى نظرة جامدة
على قتلاه ، في حين هتف (سالم) مبهورا :

- يا إلهي .. من هذا يا (مهاب) ؟ .. أهو (فهد) حقا ؟ ..
أهو ذلك الزنجي الصغير ، الذي تبناه مولاي ، و ...

قاطعته (مهاب) في حزم صارم :

- رويدك .. لم يحن وقت كشف هذا بعد .

أما (فارس) ، فنقل بصره في دهشة ، بين (سالم)
و (فهد) ، قبل أن يهتف في انفعال :

- هل تبناه أبي ؟! .. أيعنى هذا أن (فهد) أخى ؟ .. أخى
بالتبني .

تبادل (مهاب) و (سالم) نظرة صامتة ، ثم قال
(مهاب) في حزم :

- لا تقلق نفسك بهذه الأمور يا (فارس) .. إنها ..

قاطعته (فارس) ، وهو يندفع نحو (فهد) هاتفا :

- (فهد) .. أنت أخى حقا يا (فهد) ؟ .. يا إلهي ! .. كم
سيسعدني هذا .. أنت أخى بالتبني يا (فهد) ؟

لم يجب الزنجي ..

بل لم ينطق بحرف واحد ..

فقط ظل لحظة يتطلع إلى عيني (فارس) في صمت ،

وعيناه تحملان امتنانا عميقا ، ثم لاحت على وجهه ابتسامة ،

لم تلبث أن تلاشت في سرعة ، وهو يرفع يده ، ليربت بها على

كتف (فارس) ، ثم استدار ، وانطلق نحو بوابة الساحة في

خطوات سريعة ، و (فارس) يهتف به :

- أجبنى يا (فهد) .. أجب ..

ولكن الزنجي اختفى خارج الساحة ، بنفس السرعة التي ظهر بها ، وهتف (فارس) خلفه :

- (فهد) ..

ثم خفض عينيه ، مستطرذا في أسف :

- نسيت أن أشكرك .

اتجه إليه (مهاب) ، ووضع يده على كتفه بدوره ، وقال :

- إنه لا ينتظر الشكر أبدا يا صديقي .

هتف (سالم) مبهورا :

- وهذا أروع ما فيه .

التفت إليه (مهاب) لحظة ، ثم انحنى يلتقط أحد السيوف

من الأرض ، ووضعها على عنق (شيلوك) ، قائلا :

- ما رأيك لو عاملتك الآن ، بمثل ما أردت معاملتنا به ؟

كاد (شيلوك) يبكي ، وهو يمسك موضع إصابة ساعده ،

قائلا :

- الرحمة .. الرحمة .

قال (فارس) في صرامة :

- وهل يستحق مثلك الرحمة ؟

بكى اليهودي بالفعل ، وهو يقول :

- ليست هناك أحقاد شخصية بيننا ، ولكن بعضهم

استأجرني لقتلكم .

سأله (مهاب) في صوت قاس :

- ومن ذلك الوغد ، الذي فعل هذا ؟

أجابه في انهيار :

- عمى (شالوم) .. عمى هو الذي دفع ألف ومائتى قطعة

ذهبية ، مقابل أعناقكم .. أأسم لك أن هذا ما حدث بالفعل .

قال (فارس) في غضب :

- إذن فذلك اليهودي الوغد أراد قتلنا .

غمغم (سالم) :

- أدركت هذا منذ البداية .

تبادل الثلاثة نظرات صامتة ، ثم قال (فارس) :

- ماذا نفعل ، بشأن هؤلاء الأوغاد الأربعة ؟

قال (سالم) في صرامة :

- أنا الأحق بهم .. فقد قتلوا أربعة من رجالي ، وانتهكوا

حرمة منزلي ، وكادوا يقتلون ضيلى .

سأله (مهاب) :

- ماذا ستفعل بهم .. هل تقتلهم ؟

أجابه (سالم) :

- بل سأحتفظ بهم في القبو ، حتى تنتهى مهمتنا ، ويتم

القضاء على الفارس الأسود ، وبعدها سيكون للشرطة شأن

معهم .

قال (فارس) في هدوء :

- نعم .. هذا هو الحل الأمثل .. سنحتفظ بهم ، حتى تحين اللحظة المناسبة .
سأله (مهاب) :

- ومتى تحين هذه اللحظة المناسبة ؟
صمت (فارس) لحظة ، ثم أجاب فى اقتضاب حازم :
- غذا .. غذا تحين اللحظة ، وإن غذا لناظره قريب ..

لم يغمض لـ (شالوم) جفن طيلة الليل ، وهو ينتقل من نافذة إلى أخرى ، فى انتظار عودة (شيلوك) ، حتى مطلع الفجر ، وامتلات نفسه بقدر هائل من التوتر والقلق ، عندما أشرقت الشمس ، دون أن يأتى (شيلوك) ، ووجد (شالوم) نفسه يردد ، بأعصاب توشك على الانهيار :

- لقد فشل .. أعلم أنه فشل .. أراهن أنه سيبلغ ذلك الفارس اسمى ، ولكننى سأنكر بالطبع .. سأنكر أية صلة لى به .. سأنكر حتى أنه ابن شقيقى ، وأنه ..

انحبست الكلمات فى حلقه ، وجف لعابه ، وهو يحدق فى رئيس الشرطة ، الذى يتجه إلى منزله من بعيد ، وراح جسده يرتجف ، وهو يقول :

- لقد اعترف ذلك الفاشل .. اعترف ..

بلغ رئيس الشرطة منزله ، ودق بابه فى هدوء ، فاندفع (شالوم) إلى حجرة (ماريو) ، وقال فى توتر :

- رئيس الجند والشرطة هنا .. إنه يدق الباب .
استل (ماريو) سيفه ، وهو يقول فى صرامة :
- لن يأخذنى حيا .

تشبث به (شالوم) ، قائلا :

- رويدك يا رجل .. ربما أتى رئيس الشرطة لهدف آخر .
قال (ماريو) ، وهو يلوح بسيفه :
- سيكون هذا من حسن حظك .

أجاب (شالوم) ، وهو يكاد ينهار ، من شدة توتره وانفعاله :

- المهم الأيراك هنا .. اختف فى حجرتك ، حتى ينصرف ، والا كان الموت مصيرى ومصيرك ، لو رأى ذلك الدرع الأسود فى حجرتك .

أغلق الباب على (ماريو) فى إحكام ، وأسرع يتقبل رئيس الشرطة ، وهو يقول فى صوت مرتجف .

- مرحبا برئيس الشرطة .. مرحبا بك فى منزلى .. أى رياح طيبة أتت بك هنا ؟

أجاب رئيس الشرطة ، وهو يلوح بكفه :

- كنت أتفقد الأمور بالقرب من هنا ، فرأيت أن أتناول معك قدحا من القهوة ، التى تجيد خادمك صنعها .
لم يصدق اليهودى أذنيه ، فهتف :

ابتسم رئيس الشرطة ، وقال :

- أكنت تتوقع شيئاً آخر ؟

انزاح الحمل الثقيل عن كاهل اليهودي ، فانتابته موجة
مرح عارمة ، جعلته يهتف في حرارة :

- منزلي كله رهن إشارتك يا رئيس الشرطة .. أهلاً بك
وألف أهلاً .

قاده إلى حجرة الضيوف الخاصة ، وأمر خادمته بإعداد
القهوة ، التي فاحت رائحتها بعد لحظات ، وهي بين يدي
رئيس الشرطة ، الذي ارتشف رشفة منها ، وابتسم قائلاً :

- خادمك هذه تعد أفضل قهوة ، في (الأندلس) كلها .

ابتسم اليهودي في مرح ، قائلاً :

- بالهناء والشفاء ياسيدي ..

ثم سأله في اهتمام :

- ولكن لماذا تتفقد جنك ، في هذه الساعة المبكرة ؟
أجابه رئيس الشرطة في بساطة ، وهو يتذوق القهوة
الطازجة :

- هناك شائعات قوية ، تقول : إن الفارس الأسود سيهاجم
الحقول ، في هذه الناحية ، مع غروب الشمس ، ولقد نقلت

الجند كلهم إلى هنا ، استعداداً للإيقاع به .

سأله (شالوم) :

- ومن أطلق هذه الشائعات ؟

هز رئيس الشرطة كتفيه ، وقال :

- لا يمكنك أبداً معرفة مصدر الشائعات .

وارتشف البقية الباقية من قذح القهوة ، ثم أعاد القذح
الفارغ إلى المنضدة ، وهو ينهض قائلاً :

- المهم أن نستعد لمواجهة ، ولحسن استغلال هذه
الفرصة السانحة .

أجابه (شالوم) ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة :

- بالتأكيد .. لا يمكن إضاعة الفرصة قط .

لم يكدر رئيس الشرطة يغادر المنزل ، حتى خرج (ماريو)
من حجرته ، وهو يقول ساخراً :

- لقد سمعت كل كلمة نطق بها ذلك الغبي .. من سوء حظه

أننى أجيد العربية ، بنفس إجادتى للغتى الأصلية .

ثم أطلق ضحكة ممطوطة ، واستطرد :

- لقد حشدوا جيشهم كله في الجنوب ، وأفسحوا المجال

لنا في الشمال .. يا للشيطان ! .. لم أتصور أبداً أننى سأثير
فزعهم إلى هذا الحد .

سأله (شالوم) في فضول :

- ماذا ستفعل ؟

أجابه (ماريو) ، في لهجة أقرب إلى الجدل :

- تسألني ماذا سأفعل ؟ .. سأحاول استغلال الفرصة حتى
النخاع بالطبع يا رجل .

ثم اكتست لهجته بالحزم ، وهو يستطرد :

- اسمع يا رجل .. إليك ما ستفعله .. ارسل أحد رسلك إلى
(قشتالة) ، وقل لهم : إن الفارس الأسود سيشن هجومه
الأخير الليلة ، في الشمال ، بالقرب من الحدود ، وأن العرب
الأغبياء ، يحشدون قوتهم كلها في الجنوب ، وعلى فرقنا أن
تباغت بالهجوم ، عند مغيب الشمس تماما .

وتألفت عيناه بهريق عجيب ، وهو يتابع :

- والليلة تسقط (قيجاطة) .. أول الطريق إلى
(غرناطة) .

★ ★ ★

انطلق جواد قوى ، ينهب الأرض نهبا ، عبر الحدود
العربية القشتالية ، نحو (قرطبة) ، ولم يكد النهار ينتصف ،
حتى كان الجواد وراكبه قد بلغا الحصن الملكي هناك ، وفور
إبراز تصريحه الخاص ، سمح الحراس للرجل بدخول
الحصن ، فهبط عن جواده ، وأسرع على الفور إلى القاعة
الملكية ، وهناك انحنى أمام مليكه (فرناندو) ، وهو يلهث
في شدة ، وقال :

- مولاي .. لدى أخبار بالغة الخطورة يا مولاي .

سأله (فرناندو) في قلق :

- أية أخبار هذه يا رجل ؟

أجابه الرجل لاهثا :

- أنت تعلم يا مولاي ، أنني قد تسأللت وسط الخدم ، في قصر

حاكم (قيجاطة) ، وأنتى أنقل إليكم كل ما يحدث هناك ، أولا
فأولا ، و ...

قاطعته (فرناندو) بنفاد صبر :

- هات ما لديك يا رجل .. هيا .

لهث الرجل أكثر ، وهو يقول :

- حسنا يا مولاي .. حسنا .. لقد استقبل الحاكم أمس

زانرا ، لازلت أذكر ملامحه جيدا ، منذ احتلالنا (قرطبة) .

قال (فرناندو) في خشونة .

- تقصد منذ استعادتنا (قرطبة) .. حسنا .. ومن هذا

الزائر ؟

بدا وكأن انفعال الرجل قد بلغ ذروته ، وهو يجيب :

- الوزير يا مولاي .. الوزير .

التقى حاجبا (فرناندو) ، وهو يقول :

- الوزير ؟ .. أي وزير ؟

لوح الرجل بكفيه ، وهو يجيب :

- وزير أمير (قرطبة) السابق يا مولاي .. الحكيم .

صاحب الخطط المدهشة .. ال ..

٨ - الثأر ..

هوى سيف (مهاب) بكل قوته ، على نصل سيف
(فارس) ، والتقى السيفان في صليل قوى ورنين عنيف ، ثم
انفصلا في سرعة ، وعادا يتقارعان كأمر ما تتقارع
السيوف ، مما جعل (سالم) يهز رأسه في إعجاب ، ويقول :
- ما أروعه من (فارس) !
وقف يراقب المشهد لربع ساعة أخرى ، توقف بعدها
(فارس) عن القتال ، وهو يقول :
- هذا يكفي .. لن أرهق نفسي قبل اللقاء الفعلي .
ابتسم (مهاب) ، وجفف عرقه ، قائلاً :
- صدقت .
أعاد (فارس) سيفه الفضي إلى غمده ، واتجه إلى
(سالم) ، وسأله في اهتمام واضح :
- ما الأخبار ؟
أجاب (سالم) :
- كل شيء على ما يرام .. المزارعون في حقولهم ،
والحصاد يسير على قدم وساق ، و (قيجاطة) كلها تنتظر
ظهورك .. لقد أصبحت رمزاً للأمل في قلوبهم .
سأله في هدوء :

قاطعه (فرناندو) في انفعال :
- رباه .. أتقصد ذلك الوزير ؟! .. وماذا كان يفعل لدى
الحاكم ؟

لهث الرجل في عنف هذه المرة ، مجيباً :
- كان يكشف له خطتنا يا مولاي .. خطتنا كلها .
وهوت الصاعقة على رأس (فرناندو)

★ ★ ★



- وماذا عن الجنود ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- الشائعات تقول أنهم يحتشدون في الجنوب ، استعداداً للقاء الفارس الأسود .

مطّ (فارس) شفتيه ، وقال :

- هذا يجعل الحدود عارية تماماً .. يا له من إغراء للقشتاليين !

قال (سالم) :

- لا تجعل هذا يقلقك .

تنهّد (فارس) ، وقال :

- حسناً .. فليهتم كل منا بعمله فحسب .

قالها واتجه إلى المنزل في خطوات هادئة ، فسأل (سالم) (مهاب) :

- ماذا سيفعل الآن ؟

أجابه (مهاب) مبتسماً :

- سيذهب للنوم .

هتف (سالم) في دهشة :

- النوم؟! .. كيف يمكنه أن يغمض جفنيه ، وهو يستعد

لمواجهة الشيطان نفسه ، بعد ساعات قليلة ؟

أجابه (مهاب) ، في شيء من الزهو :

- هذا ما علمته إياه .. لابد من أن تواجه خصمك ، وأنت في أفضل حالاتك .. الجسدية والمعنوية ..

هزّ (سالم) رأسه ، قائلاً :

- يا إلهي ! لقد صنعتما منه - أنت والشيخ - نسخة معنلة من أبيه .

شرد (مهاب) ببصره ، وهو يقول :

- بل هو أفضل كثيرًا !

تطلّع إليه (سالم) في جزع مفاجئ ، وهو يهتف :

- رياه !.. جراحك تتزف في غزارة .

تطلّع (مهاب) إلى الدماء ، التي تغرق ذراعه ، وقال :

- لا بأس .. إنها تحتاج إلى بعض الضمادات فحسب .

أشار (سالم) إلى رجاله ، فأسرعوا يضمّدون جراح (مهاب) ، و (سالم) يقول في قلق :

- ما كان ينبغي أن تشارك (فارس) ، في تلك التدريبات

العنيفة ، قبل أن تلتئم جراحك .. إنك لن تستطيع معاونته ،

في قتاله مع الفارس الأسود .

قال (مهاب) في هدوء :

- ومن قال إنني سأحاول حتى معاونته ؟

هتف (سالم) مستكراً :

- ماذا تقول؟! .. أستركه يواجهه وحده ؟

أوماً (مهاب) برأسه إيجاباً ، وقال :

- حاول أن تستوعب الموقف يا (سالم) .. الفارس
الأسود لم يعد مجرد مقاتل ، يمكن لفرقة قوية من جنودنا
إيقافه ، والقضاء عليه .. لقد صار رمزا لتفوق القشتاليين
وقوتهم .. والرمز لا يمكن مواجهته إلا برمز مثله يارجل ..
ورمزنا هو (فارس) ، بزيه الأبيض ، وحرملته الخضراء ،
وخونته الفضية .. إنه الصورة المعكوسة للفارس الأسود ،
ولابد له من مواجهته وحده ، والتغلب عليه ، نون أية معاونة
خارجية ، وإلا فلا فائدة من وجوده هنا .

استمع إليه (سالم) في انتباه ، ثم قال :
- فهمت .

إلا أنه لم يلبث أن استدرك في سرعة :
- ولكن ماذا لو انهزم (فارس) ؟

ارتجف جسد (مهاب) ، وسرت فيه قشعريرة باردة ،
لمجرد تصور الفكرة ، وقال في خفوت :
- عندئذ تكون (الأندلس) قد خسرت الرمز يارجل .. رمز
الفارس .

★ ★ ★

عالج (شيلوك) قيوده في إصرار ، داخل قبو المنزل
المظلم ، حتى تمكن من إرخاء إحدى عقدها ، فقال هامسا
لرفاقه :

- لقد نجحت .. سأخلص من قيودي في لحظات .
أجابه أحدهم :
- عظيم أيها الزعيم .. تخلص من قيودك ، وحل قيودنا ،
ولنبادر جميعا بالفرار .
قال (شيلوك) في حدة :
- الفرار ؟ لا يارجل .. لن نلجأ إلى الفرار أبدا .
ثم تخلص من قيوده ، وألقاها بعيدا ، وراح يحل قيود
رفاقه ، مستطرذا :
- لن نفر من هنا ، قبل أن نثار لكرامتنا الجريحة .
سأله أحدهم في خوف :
- كيف ؟
أجاب في مقت :
- سنقتلهم جميعا .. سنذبحهم كالنعاج ، واحدا بعد الآخر .
هتف أحدهم معترضنا :
- وماذا لو واجهنا ذلك الشيطان الزنجي مرة أخرى ؟
أجابه (شيلوك) في حدة :
- لقد رحل أمس يارجل .. ألم تره بنفسك ينصرف ؟
انتهى من حل قيودهم جميعا ، وقال :
- هذه المرة لن نهاجم بالضجة التي هاجمناهم بها أمس .
سنتسلل على أطراف أصابعنا ، ونضرب ضربتنا ، ثم نختفي
في لمح البصر .



واستل من حزامه خنجر الحارس القتل ، واتجه إلى فراش (فارس) ،
وتعم في كراهية : — الآن تدفع الثمن ..

بدا القلق والتردد على وجوه الرجال ، فقال في صرامة :
- فليهتف أحدكم مناديا الحارس ، وسأقوم أنا بالعمل .
تسلل حتى باب القبو ، ثم أشار إليهم ، فهتف أحدهم مناديا
الحارس ، ولم يكد الحارس يفتح الباب ، حتى انقض عليه
(شيلوك) ، واعتصر عنقه بساعده القوي ، فلم يتركه إلا جثة
هامدة ، ثم قال لرجالہ في ظفر :

- هيا يا رجال .. لقد انفتح أمامنا باب النار .

خرجوا على أطراف أصابعهم من القبو ، وتسللوا عبر ممر
المنزل الداخلي ، حتى حجرات الضيوف ، وهناك دفع
(شيلوك) باب إحدى الحجرات في خفوت ، وألقى نظرة
تفيض بالمقت على (فارس) ، الذي استغرق في نوم عميق ،
واستل من حزامه خنجر الحارس القتل ، واتجه إلى فراش
(فارس) ، وتمتم في كراهية :

- الآن تدفع الثمن ، أيها الفارس العربي .
واستعد الخنجر لذبح ضحيته ..

★ ★ ★

استمع الملك (فرناندو) إلى حديث جاسوسه ، وهو
ينتفض من فرط الانفعال ، ثم لَوَّح بكفيه في توتر ، قائلاً :
- من أين يأتي ذلك الشيخ بمعلوماته ؟ .. أي طاقم من
الجواسيس يستخدم ، للحصول على هذه الأسرار الدقيقة ؟

أجابته الرجل في توتر مماثل :

- إنه لم يفصح عن مصادره يا سيدي .

ظل (فرناندو) يلوح بذراعيه لحظات ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم قال في عصبية :

- لا بد لنا من اتخاذ إجراءاتنا في سرعة إذن ، وإلا خسرتنا

كل شيء

قال الجاسوس :

- يمكنني أن أنطلق على الفور يا سيدي .. للقاء الفرق

الثلاث ، و ...

قاطعته (فرناندو) في حدة :

- لن نلحق بها في الوقت المناسب .. الأمر يحتاج إلى

شيء أسرع .

ثم صاح في توتر :

- (غالا) .

ظهرت الوصيصة الفاتنة ، من خلف ستار قريب ، على نحو

يوجي بأنها قد استمعت إلى كل حرف ، تباينه الملك مع

جاسوسه ، وقالت في نعومة :

- أمر مولاي .

أشار إليها (فرناندو) ، قائلاً :

- ألدينا هنا حمام زاجل ، يمكنه بلوغ أية نقطة محدودة ،

بالقرب من الحدود الجنوبية ؟

- أجابته على الفور :

- نعم يا مولاي .. لدينا زوج من الحمام الزاجل ، من

معسكرنا الجنوبي ، ولو حمل رسالة الآن ، يمكنه بلوغ موطنه

في ساعتين على الأكثر ، ولا بد للفرق الثلاث من المرور على

المعسكر الجنوبي ، قبل بلوغ الحدود .

هتف في انفعال :

- عظيم .. سنرسل رسالة إلى فرقنا إذن .

أسرع إليه كاتبه ، فأملى عليه رسالة عاجلة ، تأمر الفرق

الثلاث بالعودة ، وعدم الاشتباك مع الفرق العربية ، ثم ختمها

بخاتمه الخاص ، وناولها إلى (غالا) ، قائلاً :

- أرسلني هذه الرسالة على الفور .

انحنى أمامه ، وهي تبسم في دهاء ، قائلة :

- سمعا وطاعة يا مولاي .

حملت الرسالة ، وأسرعت بها إلى أبراج الحمام ، الملحقة

بالقصر ، والتقطت واحدة من زوج الحمام ، الذي ينتمي إلى

المعسكر الجنوبي ، وقالت بابتسامة خبيثة :

- لا بد من إرسال هذه الرسالة بأسرع ما يمكن ، وإلا خسرت

فرقنا المعركة ، وفشل الفارس الأسود في مهمته .. وهذا

الفارس يبذل أقصى جهده للنجاح ، حتى يفوز بـ (غالا)

المسكينة ، التي لم يعد لها شأن ، في اختيار الشخص الذي

يمكنه مشاركتها حياتها وأحلامها .

داعبت الرسالة مرة أخرى بين أصابعها ، وعادت تقول :
- ولكن ماذا لو فشلت مهمتك ، أيها الفارس الأسود ؟ .
إنك في هذه الحالة لن تفوز بالمكافآت ، ولن تحصل على .
اتسعت لبتسامتها الساخرة ، وغمغمت :

- فليكن أيها الفارس الأسود .. إننى أفضل فشلك .
وتحركت فى هدوء نحو قفص آخر ، التقطت منه حمامة
ثانية ، وأطلقتها من النافذة ، قائلة :

- هكذا سيرى مليكننا المحبوب الرسالة ، وهى تنطلق إلى
الهدف ، وهو لن يتابعها بالتأكيد .. أما أنت أيتها الحمامة
الجميلة ، فسيُسد الملك أن يلتهمك مع طعام العشاء .
ونبحت حمامة المعسكر الجنوبي فى هدوء ..

★ ★ ★

استغرق (فارس) فى نوم عميق ، دون أن يشعر بذلك
اليهودى ، الذى يقف عند عنقه ، مستعداً لذبحه بلا رحمة ..
أما (شيلوك) ، فقد برقت عيناه فى وحشية ، وهو يمسك
خنجره ، وتقاطرت منها نظرات الشر والشراسة ، وهو يمد
يده ليذبح (فارس) ، و ..

وفجأة امتدت تلك اليد السوداء القوية ، واعتصرت
معصمه ككلاية من الفولاذ ..

وارتجف جسد (شيلوك) فى رعب هائل ، واستدار ككلب

مذعور إلى صاحب اليد السوداء ، ولم يكذبصره بقع على وجه
(فهد) ، بنظراته الصارمة المخيفة ، ووجهه الجامد
الحازم ، حتى كاد يطلق صرخة فزع ، لولا أن أشار إليه
(فهد) إشارة صارمة ، جمدت الدماء فى عروقه ، وحبست
الصرخة فى حلقه ..

وفى هدوء ، انتزع منه (فهد) خنجره ، ثم حمله كطفل
صغير من معصمه ، وغادر به الحجرة ، إلى حيث جلس رجاله
الثلاثة يرتجفون فزعاً ، وأغلق باب الحجرة على (فارس)
فى هدوء ، وكأتما يخشى إيقاظه ، والتفت إلى (شيلوك) ،
وأشار إلى حيث القبو ، فى حزم مخيف ، جعل الرجال الأربعة
يتعشرون أمامه ، وهم يتجهون إلى القبو ، ويتجاوزون ذلك
الحارس ، الذى خنقه (شيلوك) منذ قليل ..

وداخل القبو انفرجت شفتا (فهد) ليخرج صوته عميقاً
صارماً ، وهو يقول مشيراً إلى الحارس القليل :

- من فعلها ؟

هوت قلوب الرجال الأربعة بين أقدامهم ، وهتف أحدهم فى
هلع وارتياح :

- (شيلوك) .. (شيلوك) قتله .

استل (فهد) سيفه فى صرامة ، فهتف (شيلوك) فى
ضراعة :

- الرحمة .. لم أقصد قتله .. لم أقصد قتله .

أتاه صوت (فهد) الصارم القوي ، وهو يقول :

- من قتل يُقتل .

ثم غاص سيفه في قلب (شيلوك) ، الذي جحظت عيناه ، وأطلق خوارجا عجيبيًا ، قبل أن يسقط عند قدمي (فهد) جثة هامدة ..

وفي هدوء مخيف . أعاد (فهد) سيفه إلى غمده ، ثم غادر القبو في خطوات بطيئة ، وترك باب القبو خلفه مفتوحا ، ولم يهتم حتى بتقييد الرجال الثلاثة ، وعلى الرغم من هذا لم يجروا أحدهم على الفرار أبدا .
ولن يفعلوا ..

★ ★ ★

استيقظ (فارس) قبيل غروب الشمس بثلاث ساعات ، وهو يشعر بالحيوية والنشاط ، دون أن يشعر بما فعله (فهد) ، والتقى بـ (مهاب) ، الذي اهتم باعداد وتجهيز ثوب (فارس) الأبيض ، وحرملته الخضراء ، وسأله (فارس) في هدوء :

- أكل شيء على ما يرام ؟

- أجابه (مهاب) :

- كل شيء كما توقعنا تماما .

رئد (فارس) في هدوء :

- حمدا لله .

ثم انتحى ركنا من أركان القاعة ، ووقف يصلى في خشوع وهدوء ، وسط صمت تام ساد المكان ، مع رهبة الموقف ، حتى انتهى (فارس) من صلاته ، وبدأ أكثر انتعاشا ونشاطا ، وهو يلتقط ثيابه ، قائلا :

- حانت اللحظة المناسبة .

وأخذ يرتدى ثيابه في هدوء ..

وفي نفس اللحظة ، حمل (ماريو) جعبته ، التي يخفي فيها درع الفارس الأسود ، وقال لـ (شالوم) ، قبل أن يغادر منزله :

- استعد يا رجل .. ربما نُقش اسمك على جدران (قيجاطة) في المساء .

ابتسم (شالوم) ابتسامة كبيرة ، وقال :

- أتعشم هذا يا سنيور (ماريو) .. أتعشم هذا .

قهقه (ماريو) ضاحكا ، وانطلق بجواده مبتعدا ، وهو يقول لنفسه :

- أعاهدك أن أنقش اسمك في المدينة ، أيها اليهودي

الحقير ، ولكن على شامد قبر .

وأطلق ضحكة ساخرة أخرى ، وهو يختفي بين الحقول ،

في حين تنهد (شالوم) في ارتياح ، وقال :

- أخيرًا يا (شالوم) .. أخيرًا ستجني ثمار احتمالك للعرب ، طوال كل هذه السنين .

استدار عائدًا إلى منزله ، ولكنه لمح رئيس الشرطة قائمًا ، على متن جواده ، بصحبة فرقة صغيرة من جنوده ، فاستقبله بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- مرحبًا برئيس الشرطة .. لا ريب أنني سبعت الحظ ، لأحظى بزيارتك مرتين ، في يوم واحد .. سأمر خادمتي بإعداد قهوتك المفضلة على الفور .

سأله رئيس الشرطة ، دون أن يهبط عن جواده :

- هل رحل ؟

بدا السؤال مبالغًا لـ (شالوم) ، فارتبك وهو يقول :

- رحل؟! .. من تقصد يا رئيس الشرطة ؟

أشار رئيس الشرطة لرجاله ، وهو يقول في سخرية :

- أقصد (ماريو) بالطبع يا (شالوم) .. الفارس الأسود .. ألا تعرفه ؟

انهار (شالوم) تمامًا ، وبكى في حرارة ، وهو يقول :

- سيدي .. سأشرح لك .

قال رئيس الشرطة في هدوء صارم :

- لا داعي يا (شالوم) .. انظر الشرح لقاضي القضاة ، فجريمتك هي الخيانة العظمى ..

حمل رجال الشرطة (شالوم) معهم ، فصاح محاولًا الدفاع عن نفسه :

- سأكفر عن نبيي .. سأخبركم أين سيذهب الفارس الأسود .. سأشرح لكم ما سيفعله الآن .

أجابته رئيس الشرطة :

- لا داعي يا (شالوم) .. لن يعيننا كثيرًا أن نعلم هذا .

ثم تطلع إلى الأفق ، مستطرذا :

- بل يهمنا فقط ما سيسفر عنه .

وارتسمت في ذهنه صورة (فارس) ..

ارتدى (ماريو) درعه الأسود ، خلف شجرة ضخمة ، ثم حمل مشعله الملتهب ، وامتطى صهوة جواده ، مغتمًا :

- اليوم تدركون قوة القشتاليين أيها العرب .

جذب عنان جواده ، ولكزه في بطنه بكعبيه ، ثم انطلق به نحو حقول الشمال ..

ومن بعيد ، لاحت له الحقول ..

كان المزارعون قد انتهوا تقريبًا من حصاد مزروعاتهم ، واستعدوا لنقل ما جمعوه إلى مساكنهم ، عندما لاح لهم الفارس الأسود الرهيب ، وهو يندفع نحوهم بدرعه الداكن ، ومشعله ..

وتفجرت موجة الذعر ..

وتدافع الجميع من كل صوب ..

وصرخت النساء ..

تمنل قائد الفرق القشتالية الثلاث ، وهو يتطلع إلى السهول الممتدة أمامه ، وسط التلال الخضراء ، على الحدود بين العرب والقشتاليين ، والتفت إلى معاونه ، يقول في ضيق :

- ترى متى نبدأ الهجوم ؟

أجاب معاونه في تردد :

- المفروض أن تنتظر إشارة بذلك .

تطلع القائد إلى الأفق ، وقال :

- ستغرب الشمس بعد ساعتين على الأكثر ، والهجوم الليلي

لا يحقق نتائج طيبة ، مثل الهجوم الصباحي .

تردد معاونه مرة أخرى ، وقال :

- لقد أرسلنا جواسيسنا ، وسيخبروننا عما إذا كان هجومنا

مناسباً أم لا .

غمغم القائد في سخط :

- الهجوم أفضل من الانتظار على الأقل .

لمح معاون فارساً يأتي من بعيد ، فأشار إليه ، قائلاً :

- ها هو ذا أحد جواسيسنا يعود .

لقى القائد بصره بعيداً ، وقال :

واقترب الفارس الرهيب ..

وفي أعماقه ، أطلق الفارس الأسود ضحكة شيطانية

رهيبة ، وهو يلوح بمشعله ، ويتجه نحو المحصولات ، التي

جمعها المزارعون طيلة النهار ..

وهوت القلوب بين الضلوع ..

كانت هذه أكبر وأضخم كمية محاصيل ، تم حصادها هذا

العام ..

واحتراقها يعني الدمار ..

والفقر ..

والجوع ..

وارتفع مشعل الفارس الأسود ، و ...

وانطلق ذلك السهم ، ذو الرأس الماسي ..

والتقى المشعل بالسهم ..

وسقط الاثنان بعيداً ..

وفي غضب ، التفت الفارس الأسود إلى البقعة ، التي

انطلق منها السهم ، ثم قال في مقت :

- آه ! إذن فهو أنت .

كان يتطلع مباشرة إلى (فارس) ..

وكانت مواجهة جديدة ..

وأخيرة .

★ ★ ★

- أرجو أن يحمل أخبارا طيبة .

ولكن الجاسوس راح يصيح ، قبل أن يبلغ موضع الفرق الثلاث :

- فرقة عربية .. فرقة عربية في طريقها إلى هنا . هتف القائد في دهشة :

- ماذا!؟ .. ألم يقل (ماريو) : إن العرب يحشدون جيوشهم في الجنوب!؟

قال المعاون ، محاولاً تهدئته :

- ربما هي مجرد فرقة استطلاعية .. من المؤكد أنهم لن يسحبوا كل فرقهم من الحدود .

بلغ الجاسوس موضع الفرق ، فسأله القائد في توتر :

- أهي فرقة واحدة؟

أجابه الجاسوس :

- نعم .. هي فرقة واحدة ، تقطع الطريق إلى هنا ،

وستصل بعد قليل ، فانا أسبقهم بمسيرة ربع الساعة فقط .

هتف القائد :

- فقط!؟

لم يكذ ينطق عبارته ، حتى ظهرت الفرقة العربية من بعيد ، وهي تقترب من الحدود ، فصاح المعاون :

- ها هم أولاء .

ثم التفت إلى قائده ، مستطرذا في توتر :

- ماذا نفعل؟

عقد القائد حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

- وماذا تتوقع أن نفعل!؟ .. إنهم فرقة واحدة ، ونحن ثلاث

فرق كاملة .. سنقاتلهم بالطبع .

ثم استل سيفه ، ورفع عاليًا ، وهو يقول في صوت

جهورى :

٠ استعدوا يا رجال .

تحفز الرجال واستعدوا ، حتى هتف القائد :

- هجوم .

انطلقت الفرق الثلاث ، لمواجهة الفرقة العربية ، بفارق

قوة واضح جلي ، لا يعنى إلا شيء واحد ..

أن الهزيمة مؤكدة ..

هزيمة الفرقة العربية ..

★ ★ ★

مضت لحظات من الصمت ، و (فارس) و (ماريو)

يتبادلان نظرات التحدى والغضب ، دون أن يتحرك أحدهما من

موضعه ، ثم استل (ماريو) سيفه ، وقال في صوت غاضب :

- يبدو أنك لم تتعلم شيئًا ، من هزيمتك السابقة يا فتى .

امتشق (فارس) سيفه بدوره ، وهو يقول :

- ومن الواضح أنك لم تتعلم شيئًا ، من تعاملك مع العرب .

ابتسم (ماريو) ابتسامة ساخرة ، أخفتها خوذته
السوداء ، وهو يقول في استهتار :
- بل تعلمت كيف أهزمهم .
ثم أطلق صيحة قتالية رهيبة ، واندفع نحو (فارس) ،
الذي أطلق صيحته بدوره ، وانقض على خصمه ..
وتبارع السيفان في عنف ومهارة ، أمام عيون
المزارعين ، وراح الفارسان يتقاتلان في قوة ، و (ماريو)
يقول :

- لا تحاول أيها العربي .. لن يمكنك هزيمتي أبدا .
مال (فارس) ، متفاديا ضربة سيف ، ووجه إلى خصمه
ضربة ماهرة ، وهو يقول :

- الغرور هو أول معول في قبرك أيها القشتالي .
أصابت ضربته القشتالي في مقتل ، ولكنها ارتدت عن
درعه الصلب ، فأمسك (ماريو) مقبض سيفه بقبضتيه ،
هاتفا :

- رأيت أنك لن تفلح يا فتى ؟

هوى بسيفه على سيف (فارس) بكل قوته ، ولكن
(فارس) استقبل الضربة بسيفه ، ودفع سيف خصمه بعيدا ،
وهو يقول :

- ليس في كل مرة تفلح الكرة يا رجل .

تراجع (ماريو) بجواده ، وقال في غضب :

- من الواضح أنك تدرّبت على هذا كثيرا يا فتى .

قال (فارس) ، وهو يجذب جواده بعيدا :

- أكثر مما تتصور أيها القشتالي .

أوقف (ماريو) جواده ، وأشار إلى صدره ، قائلا :

- لا أمل لك أيها العربي . لن تجد في جسدي ثغرة واحدة ،

يتسأل منها سيفك إلى ..

قال (فارس) في صرامة :

- هذه شيمة الجبناء .

ثم جذب معرفة (رفيق) ، مستطرذا :

- ولكل مشكلة حل .

استدار بجواده ، وانطلق مبتعدا ، فأطلق (ماريو) ضحكة

ساخرة ، وقال :

- إذن فحل مشكلتك هو الفرار أيها العربي .

أوقف (فارس) جواده ، على بعد مائتي متر من

(ماريو) ، والتفت بواجهه ، وهو يجذب قوسه وأحد

سهامة ، قائلا :

- نحن العرب لا نعرف الفرار ، من أمام خصومنا أيها

القشتالي .

ووضع سهمه في وتر القوس ، فقهقه (ماريو) ضاحكا

في سخرية ، وقال :

- ارأهن أنه أحد سهامك ، ذات الرعوس الماسية .. لقد أخبرني أحد جواسيسى بهذا ، فاتخذت ما يلزم لإفساد لعبتك ، ودهنت درعى بمادة دهنية ، ستزلق عنها الرعوس الماسية ، وتصبح خطتك مجرد أضحوكة .

ابتسم (فارس) فى سخرية ، وقال :

- ومن قال إننى سأستخدم سهاماً ذات رعوس ماسية ؟ .. تلك الرعوس لم تكن سوى وسيلة لخداعك يا رجل ، فقد كنت أعلم أن أحد جواسيسك سيرصد هذا ، وسينقله إليك ، وأتاك ستلجأ إلى خدعة الدهون والشحوم ، التى تنزلق عنها الرعوس الماسية ، وهذا ما كنت أهدف إليه بالضبط .

وجذب وتر القوس فى حزم ، وهو يتابع :

- انظر جيداً إلى هذا السهم .. إنه سهم عادى ، يحمل فى نهايته قارورة زجاجية صغيرة ، وهذه القارورة تحوى سائلاً خاصاً ، يستخلصه (الدمشقى) من تلك السائل الأسود الكثيف ، الذى ينبع من الأرض (*). .. ولهذا السائل صفات خاصة .

ثم انحنى يشعل طرف السهم ، من المشعل الذى سقط من يد (ماريو) ، واعتدل بصوبه مرة أخرى إلى (ماريو) ، مستطرذاً فى صرامة .

- إنه يشتعل .

(*) البترول .

وأطلق السهم نحو (ماريو) ..
وإدرك (ماريو) ما يعنيه (فارس) ..
إدركه بعد فوات الأوان ..

وقبل أن يبتعد عن مرمى السهم ، شعر به يرتطم بصدرة ، وسمع صوت القارورة تنكسر ، ويمتزج سائله بالدهون ، التى يطلى بها درعه ، و ..
واشتعلت النيران ..

فى لمح البصر ، تحول الدرع الأسود إلى كتلة من اللهب ، وجفل الجواد الأسود ، فأطلق صهيقاً طويلاً ، وضرب بقوائمه فى الهواء ، ليسقط فارسه عن ظهره ، ثم يعدوا مبتعداً ..
وفى عصبية وذعر ، راح (ماريو) يتخلص من الدرع المشتعل ، وينزعه عن جسده فى سرعة ، حتى أصبح خارجه ، فاعتدل والغضب يعصف بنفسه ، وعاد يلتقط سيفه الضخم ، وقد احترق جزء من شعره ، وأطراف أصابعه ، وصرخ فى ثورة :

- ستدفع الثمن أيها العربى .. ستدفع الثمن .
وأطلق صهيقاً لجواده ، فعاد إليه عدواً ، ووثب هو على متنه ، وأضاف فى غضب هادر :

- سأروى الأرض بدمك ، مع غروب الشمس .
وانطلق مرة أخرى نحو (فارس) ..
والتقى السيفان من جديد ..

امتلات نفوس القشتاليين بالارتياح والزهو ، وهم ينقضون بفرقهم الثلاث على الفرقة العربية ، التي توقيف جنودها ، فور أن لاح لهم طيف القشتاليين ، واتخذوا وضعا قتاليا متحفزا ، جعل قائد القشتاليين يطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :
- يتصورون أنهم سينجحون في التصدي لنا .. إننا سنسحقهم سحقا .

رفع العرب أقواسهم وسهامهم ، وصوبوها إلى القشتاليين ، فلوح قائد الفرنجة بيده ، وصاح برجاله :

- فليرفع كل منكم مجنه .. سيطلق العرب سهامهم .
انطلقت سهام الفرقة العربية ، في اللحظة نفسها ، فصدها القشتاليون بتروسهم . وقهقه قائد القشتاليين ، قائلا :

- هذا أقوى ما يملكون .. قلت لكم إننا سنسحقهم سحقا .
ولكن معاونه صرخ فجأة :

- فح .. إنه فح يا سيدي .
جذب القائد عنان جواده ، وتلفت حوله في توتر ، لم يلبث أن انقلب إلى دعر هائل ، عندما رأى الفرق العربية الأربع ، التي عبرت التلال ، في التو واللحظة ، وانقضت على فرقه الثلاث من كل صوب ، وصرخ بدوره :

- لقد خدعنا العرب .

انهالت سهام العرب على القشتاليين ، من كل الاتجاهات ، فسقط منهم من سقط ، وارتبك الباقون ، والتحم الجيشان في عنف ، وارتفعت السيوف وهوت .. وتصاعد غبار الحرب ، وغطى ساحة القتال ..

وكانت المفاجأة أضخم مما يتصور القشتاليون ..
لقد حشد العرب أفضل فرقهم عند الحدود ، وصنعوا للقشتاليين فخا لا فكاك منه ..

وأيقن قائد القشتاليين من الهزيمة ، فصاح وعلمه يسقط تحت أقدام الخيول :

- تراجعوا يا رجال .. انسحبوا .
تخبط جنوده أكثر ، وهم يحاولون الفرار ، واختلط الحابل بالنابل ، وسقط من القشتاليين عدد أكبر ، وهم ينسحبون بكل الذعر والفرع ..

وانطلقت الفرق العربية تطارد فلول الهاربين ، وسقط قائد القشتاليين في الأسر ، واندحر جنوده ..
وكان انتصارا رائعا ..

لقد حطم العرب أنف القشتاليين ، في هذه المعركة .. وبقيت معركة الفارسيين ..
الأبيض .. والأسود ..

★ ★ ★

كان مشهدًا رهيبًا مثيرًا ، عندما التقى الفارسان هذه
المرّة ..

(ماريو) كان يرتدى ، تحت درعه ، ثوبًا حالك السواد ،
ارتسم على صدره شعار القشتاليين ، ويمتطي جوادًا في لون
الليل ، في حين كان (فارس) يرتدى ثوبه الأبيض ، ويمتطي
جواده الناصع البياض ..

كان قتالًا بين الأبيض والأسود ..

بين الشرق والغرب ..

بين الأمل واليأس ..

وكان القتال هذه المرة أعنف من كل المرات السابقة ..

كانت السيوف تلتقى ، فيدوى صليلها في الوادي كله ،
وتفترق ، فترتجف القلوب مع افتراقها ..

(ماريو) يقاتل بكل الغضب الكامن في نفسه ، و (فارس)
يضرب بكل الإيمان والعزة في أعماقه ..

أما الجوادان ، فقد راح كل منهما يضرب الآخر بقوانمه ،
ويطلق صهيله في قوة وبأس ويتقاذف مع تقارع السيفين ..
وفي كل العيون ، بدا (فارس) أقوى وأعظم ..

كان (ماريو) يحمل ترسه ، ويركب جوادًا مسرجًا ، له
عنان من الجلد القوي ، في حين لم يحمل (فارس) ترسًا ،
ولم يمسك عنانًا ، أو يمتطي سرجًا ..

ولكن الفارسين كانا يقاتلان في براعة مدهشة ..
وكلما احتدم القتال ، كان (ماريو) يعيد مجنّه إلى بروز
خاص في سرجه ، ثم يمسك سيفه بقبضتيه ، ويهوى به بكل
قوته على سيف (فارس) ، الذي يتلقى الضربة في بأس
وقوة ، ويضرب بسيفه أقوى وأشدّ ..

وهتف (ماريو) ، وهو يضرب في جحد وغضب :
- أتعلم كيف كانوا يدربوننا على القتال يا فتى ؟ .. كنا
نقضي نهارنا كله ، ونحن نضرب جذوع الأشجار بكل قوانا ..
أتعلم كم شجرة أسقطتها بسيفي هذا .

تفادى (فارس) ضرباته في مرونة ، وهو يقول :
- أما نحن فلا نقطع الأشجار أيها القشتالي ، وإنما
نزرعها .. أما تدرّباتنا ، فتعتمد على المراوغة والمحاورة
والمناورة .

فهله (ماريو) بضحكة عصبية ، وراح يضرب بعنف
أكثر ، وهو يقول :

- هراء أيها العربي .: تدرّباتكم أسخف من تدرّبات
مصارعي الديوك لدينا ، ولا فائدة لها عمليًا .. هل لك أن
تخبرني أية فائدة يمكن أن تعود عليك ، من قيادة جوادك دون
سرج أو لجام ؟

تراجع (فارس) بجواده ، وقال ساخرًا :

- هناك فوائد جمة أيها القشتالي .

ثم انقض على القشتالي بفتة ، وانحنى متفانيا ضربة قوية
من سيفه ، ثم ضرب بسيفه حزام سرجه ، الملتف حول بطن
الجواد ، وهو يستطرد :

- كهذا مثلا :

انقطع الحزام ، الذي يربط السرج إلى بطن الجواد ، فاختل
توازن (ماريو) ، وحاول أن يتشبث بجواده ، إلا أنه انزلق
عنه ، برغم أنه ، وسقط على الأرض ، وهو يصرخ في
غضب :

- اللعنة !

انطلقت شهقات ظافرة من حلقى المزارعين ، الذين
يتابعون القتال ، عندما سلق (ماريو) عن جواده ، واشتعل
في قلوبهم الأمل ، على الرغم من أن (ماريو) قد قفز واقفا
على قدميه ، وشهر سيفه مرة أخرى في بأس ..
وفي هدوء ، تطلع (فارس) إلى (ماريو) ، ثم ربت على
عنق جواده ، قائلا في بساطة :

- معذرة يا (رفيقى) .. لقد انتهى دورك هنا .

وهبط عن متن جواده ، وأشار إليه بالابتعاد ، ثم أمسك
سيفه ، وعاد يواجه القشتالي ..

وللحظات ، ظل كل منهما يتطلع إلى الآخر بنظرات متحدية
صارمة ، ثم ارتفع السيفان ، وتقارعا مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، أمسك كل منهما سيفه بقبضتيه ، وراح
يهوى به على سيف خصمه ، في قوة وعنف ، و (ماريو)
يقول :

- لن يحتمل ساعدك هذا القتال طويلا أيها العربي .

أجابه (فارس) في صرامة :

- سنرى أيها القشتالي .

مالت الشمس إلى المغيب ، والفارسان يتقاتلان في عنف
وشراسة ، وراح (مهاب) و (سالم) يراقبانهما من بعيد ،
و (سالم) يقول في قلق :

- أتظنه ينجح ؟

أجابه (مهاب) في توتر :

- لست أدري .. من الواضح أن هذا القشتالي قوى
صنديد ، وضربات أعنف وأقوى من ضرباتي كثيرا ، ولست
أدري ما إذا كان (فارس) سيحتملها أم لا .

تطلع (سالم) إلى المشهد لحظات ، ثم لاحت منه التفاتة
إلى الأفق ، حيث قرص الشمس ، فانطلقت من حلقه شهقة
قصيرة ، جعلت (مهاب) يسأله في قلق :

- ماذا هناك ؟

أشار إلى حيث الغروب ، وقال في انفعال :

- انظر .

التفت (مهاب) إلى حيث يشير (سالم) ، وخفق قلبه في
عنف ..

فهنالك .. عند الأفق ، وفوق تل قريب ، يظهر خلفه قرص الشمس كله ، وقف جواد أسود ، وفوقه (فهد) ..
كان الزنجي يراقب القتال من بعيد ، وهو يمسك قوسه وسهمه ، مما جعل (سالم) يقول في انفعال :
- إنه يراقبهما .

غمغم (مهاب) :

- بل هو يراقب (فارس) .

سأله (سالم) :

- ولكن لماذا يمسك قوسه وسهمه ؟

صمت (مهاب) لحظة ، ثم أجاب :

- خشية أن يخسر (فارس) القتال .

تطلع إليه (سالم) في دهشة ، وقال :

- وماذا يمكنه أن يفعل حينذاك ؟

طال صمت (مهاب) هذه المرة ، قبل أن يقول في حزم

صارم :

- ينتقم .

ارتجف (سالم) لبساع الكلمة ، ثم عاد يتابع الموقف في

توتر أكثر ..

وكان التعب قد أصاب الخصمين في شدة ، فراح كل منهما

يتصبب عرقا في غزارة . وقال (ماريو) لاهتا :

- رانع أيها العربي .. لقد احتعلت ضرباتي طويلا ، ولكن

هذا لن يستمر إلى ما لا نهاية .

قال (فارس) ، وهو يلهث بدوره :

- أتقصد ضرباتك ؟

هتف (ماريو) :

- بل مقاومتك أيها العربي .

قالها وهو يستجمع كل قوته ، وبأسه ، ورفع سيفه

صارخا :

- لقد انتهت بالفعل .

جاءت ضربته هذه المرة كالصاعقة ، وكأنما حملت كل

ما تبقى من قوته دفعة واحدة ، وهو يصرخ :

- خسرت أيها العربي .

وشعر (فارس) بكيانه يتزلزل مع الضربة ، التي نجحت

هذه المرة ، فيما لم تنجح فيه الضربات السابقة ..

لقد انتزعت سيف (فارس) من قبضته ، وألقت به على

بعد عشرة أمتار ..

وشهق المزارعون في رعب ..

وتجمدت الدماء في عروق (مهاب) ..

وارتجف جسد (سالم) ، وهو يرفع بصره إلى (فهد) ،

الذي رفع قوسه وسهمه . واستعد لإطلاق السهم ، في نفس

اللحظة التي ضرب (ماريو) فيها سيفه ، من أسفل إلى

أعلى ، ليمزق قميص (فارس) وصدرة ، مكررا بصرخة

ظافرة :

- خسرت .

شهبك الجميع مرة أخرى في ارتياح ، عندما تدفقت الدماء
من صدر (فارس) ، لتلوث ثوبه الأبيض ، وهتف (مهاب)
في لوعة :

- (فارس) !؟

أما (ماريو) فأطلق ضحكة ظافرة عالية ، وهو يرفع
سيفه ، صارخاً :

- فلتنهب المراوغة والمناورة إلى الجحيم .. إنها لم تنفك
أيها العربي .

قفز (فارس) إلى الخلف ، مقاوماً آلام جرحه ، واندفع
(ماريو) بطارده ، مكرراً :

- فشلت المراوغة والمناورة يا فتى .. لم تنفك .. لم
تنفك .

قالها وهو يرفع سيفه في عنف ، ليهوى به على عنق
(فارس) ، وهوت القلوب بين الأقدام ، وأغمض (سالم)
عينيه في ألم ، وشهبك (مهاب) في ارتياح ، وجذب (فهد)
وتر قوسه ، و ...

وهوى (ماريو) بسيفه ..

كانت ضربته قوية عنيفة ، تكفى لشج رأس (فارس) ،
وقطع عنقه ، وتمزيق جسده إرباً ، ولكن (فارس) تغادى

الضربة في براعة مذهشة ، وارتفعت قدمه تركل (ماريو)
في وجهه ، ثم قفزت يده تلتقط سيفه الفضي ، الملقى أرضاً ،
وأداره في سرعة مذهلة ، وضرب به صدر (ماريو) ضربة
مباغطة عنيفة ..

واتسعت عينا (ماريو) في ألم وذهول ، وغاص السيف
الفضي حتى مقبضه في صدره ، ونفذ نصله الملوث بالدماء
من ظهره ، و (فارس) يلهث قائلاً :

- لقد نفعت المناورة والمراوغة أيها القشتالي .

ترنح (ماريو) لحظة ، وتفجرت الدماء من بين شفثيه ،
ثم سقط جثة هامدة ..

ولثوان ، ساد الحقول صمت عميق ، قبل أن يتفجر
الهتاف ، ويندفع الجميع نحو (فارس) ، الذي ترنح قائلاً
لـ (مهاب) :

- لقد ربحت .. ربحت يا (مهاب) .

غمغم (مهاب) :

- نعم يا فتى .. لقد ربحت .

وسقط (فارس) بين ذراعي (مهاب) ، في حين ألقى
(سالم) بصره إلى التل ..

ولم يكن هناك أثر لـ (فهد) ..

أدنى أثر .

★ ★ ★

١١ - الختام ..

يوم كامل قضاءه (فارس) فاقد الوعي ..
يوم كامل قضاءه في قصر الحاكم ، يرتجف من فرط الحمى
والآلم ..

وعندما استعاد وعيه ، كان الجميع يحيطون به ..
(مهاب) ، و (سالم) و (الحاكم) ..
الجميع فيما عدا (فهد) ..
ولقد شعلت الفرحة القصر كله ، عندما استعاد (فارس)
وعيه ، وهتف به الحاكم في سعادة :
- حمدا لله على سلامتك يا ولدي .. لقد انتصرنا على
القشتاليين بفضلك ، ونجحنا في القضاء على رمز شرورهم
وفسادهم .

غمغم (فارس) :
- القتل لا يدعو للفخر يا سيدي .
لوح الحاكم بذراعيه ، هاتفا :
- ولكن الجميع ينتظرونك خارج القصر ، لقد أخبرناهم أنك
شفيت ، واستعدت وعيك ، ولكنهم يصرون على رؤيتك .
تحامل (فارس) على نفسه ؛ لينهض قائلاً :
- لقد فعلت هذا من أجلهم .



واتسعت عينا (ماريو) في ألم وذهول ، وغاص السيف الفضي حتى
مقبضه في صدره ، ونفذ نصله الملوّث بالدماء من ظهره ..

خاول (مهاب) أن يثنيه عن النهوض ، قائلاً :

- إنك لم تستعد قوتك بعد .

قال في حزم عنيد :

- لن أبخل عليهم بتحيةة .

ساعده (مهاب) و (سالم) ، على بلوغ الشرفة ، حيث استقبله سكان المدينة بهتاف حار ، وسعادة غامرة ، ولوح هو بذراعيه لهم ، ثم عاوده ضغطه ، فأعاده (مهاب) إلى فراشه ، وهو يقول :

- لقد أرسلت أبلغ الشيخ بما حدث ، ورسول الحاكم في طريقه إلى مولاي الملك الآن .

غمغم (فارس) ، وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

- حقا !؟

ثم أسبل جفنيه ، و (مهاب) يقول :

- نعم .. ورسالتى تشرح للشيخ كل ما حدث ، و ...

ولكن (فارس) لم يسمع من حديثه حرفاً واحداً ..

لقد راح في سبات عميق ..

أو عاد إلى غيبوبته ..

نهض ملك غرناطة يستقبل الشيخ في حرارة ، وعانقه في

سعادة ، وهو يقول :

- مرحباً بك أيها الوزير .. مرحباً بك ألف مرة .. لا ريب أن الأخبار قد بلغتك كما بلغتني .. رأيت ما فعله ربيبك ؟ .. رانع هو هذا الفتى .. لقد حلق أفضل مما كنا نتصور بكثير .

ابتسم الشيخ في وقار ، وهو يقول :

- بل حلق ما كنت أنتظره منه يا مولاي .

ربت الملك على كتفه في حرارة ، وقال :

- صدقت .

ثم أشار إليه بالجلوس ، وقال في اهتمام :

- قل لي أيها الوزير : ألم يقلبك مرة أمر الملك في (غرناطة) ؟

سأله الوزير في رصانة :

- ولماذا يقلقني يا مولاي ؟

هز الملك كتفيه ، وقال :

- أنت تعلم أنني لم أنجب ولداً ، وأن (جميلة) هي ابنتى الوحيدة ، وتقاليدنا لا تسمح للفتاة مثلها باعتلاء عرش البلاد ، ولقد أصبحت أنا مسناً ، و ...

لم يتم عبارته ، وإنما اعتدل على عرشه ، مستطرذاً :

- أظنك تفهم ما أعنيه .

ابتسم الشيخ في وقار ، وقال :

- أحتاج إلى توضيح أكثر ، وصراحة أكبر يا مولاي . تنهد الملك ، وقال :

- وأين يمكنه أن يجد أفضل منها؟ .. إنها فاتنة ، وكريمة
المحتد ، و ...

قاطعته الشيخ في حذر :

- فلننتظر ، حتى نسمع رأيه يا مولاي .

قال الملك في حدة :

- المهم رأيك أنت .

صمت الشيخ لحظات ، قبل أن يجيب في هدوء :

- رأيي لن يصنع فارقا كبيرا يا مولاي ، ولكن إذا كان

الزواج منها سيسعد (فارس) ، ويفيد قضيته ، فلماذا أرفض
هذا ؟

كانت إجابة مطاطة . قد لا تعنى شيئا قط ، ولكن الملك

تجاهل هذا ، واعتدل على عرشه ، وهو يقول :

- على بركة الله .

وعادت الابتسامة إلى شفثيه ..

لم يتوقف عقل (فارس) عن استرجاع تفاصيل قتاله مع

القشتالي أبدا ..

حتى وهو غارق في غيبوبته ..

وحتى في سباته العميق ..

كان عقله يسترجع كل ضربة سيف ..

- (فارس) يحمل في عروقه دماء ملكية ، كما نعرف أنا
وأنت .

قال الشيخ في هدوء رصين :

- لا توجد دماء ملكية وأخرى عادية يا مولاي .

مط الملك شفثيه ، وقال :

- أعنى أن له أصلا ملكيا .

أوما الشيخ برأسه إيجابا ، وقال :

- هذا صحيح يا مولاي .

شعر الملك أنه يضيع الوقت في محاورات ، لا طائل منها ،

فطرق الموضوع مباشرة ، وهو يقول :

- ما رأيك في (فارس) ، زوجا لابنتي (جميلة) ؟

لم يبد أن هذا قد فاجأ الشيخ ، أو أصابه بالدهشة ، فقد ظل

هادئا رصينا ، وإن انتقى كلماته في عناية ، وهو يجيب :

- المهم هو ما رأيهما هما ؟

ابتسم الملك ، وأجاب :

- بيني وبينك ، أنا أعلم أن (جميلة) تميل إليه كثيرا ،

فهي تتلَهف دائما لسماع أخباره ، وتحدث عنه وصيفتها .

قال الشيخ في خفوت :

- وماذا عنه هو ؟

تلاشت ابتسامة الملك ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول :

و انتفض جسده ، عندما بلغ حلمه هذا الحد ، وراح يتمم :
 - لقد ربحت .. لقد ربحت .
 شعر بأنامل حانية تتخس جبهته ، ففتح عينيه دفعة
 واحدة ، وتطلع إلى الوجه المطل عليه ، وإلى العينين
 المفعمتين بالإخلاص والوفاء ، واللتين تتوسطان وجه
 الزنجي (فهد) ، وسط ضوء الحجرة الشديد الخفوت ..
 وشعر (فارس) بالدهشة ..
 أدسه أن تمتلك أصابع (فهد) كل هذه القوة ، وكل هذا
 الحنان ، في أن واحد ..
 وبابتسامة شاحبة . تتمم (فارس) :
 - (فهد) .. كنت واثقا من أنك ستأتي .
 ارتسمت على الوجه القوي ابتسامة هادئة أدهشت
 (فارس) أكثر ، فتطلع إليها لحظات في صمت ، ثم سأل
 (فهد) :
 - أنت أخي بالتبني حقا يا (فهد) ؟
 حافظ (فهد) على ابتسامته الهادئة ، دون أن ينبس ببنت
 شفة ، وتحسس جبهة (فارس) مرة أخرى ، فرفع (فارس)
 يده إليه ، قائلاً :
 - فليكن يا (فهد) .. إنني أحمل لك الكثير من الشكر ، فقد
 أنقذت حياتي أكثر من مرة ، و ..

كل صرخة ..
 كل سهيل أطلقه جواد ..
 كل شهقة أطلقها المشاهدون ..
 ثم تجمعت ذكرياته كلها عند الأحداث الأخيرة ..
 سيفه الذي فقده ..
 ضربة سيف القشتالي في صدره ..
 ثم ضربته هو ..



قاطعه (فهد) بطريقة مذهشة ..

لقد وضع راحته في كف (فارس) ، ثم صافحه ..

وكانت مصافحة عجيبة ..

ضغطة اليد كانت تحمل الامتتان ، والقوة ، والحنان ،

والإخلاص ، والسعادة ..

كلها في آن واحد ..

وبصوت غلبه التأثير ، قال (فارس) :

- أنت أخي يا (فهد) .. قلبي يؤكد هذا .

ولكن (فهد) ظل يضع يده في يد (فارس) لحظات ،

وانتزعاها في رفق ، وخفض إحدى ركبتيه أرضا ، وانحنى

امام (فارس) ، ثم اعتدل ، وألقى عليه نظرة أخيرة ، ثم وثب

عبر النافذة ، واختفى ..

وأسبل (فارس) جفنيه مرة أخرى ، وتمتم :

- كم سيسعدني هذا يا (فهد) .

وعاد يسترجع ذكرى القتال المرير ، الذي انتصر فيه أفضل

الفارسيين ..

(فارس الأندلس) .



[تمت بحمد الله]

٤٦٨٤

رقم الإيداع : ٩٧٧ / ٢٦٦ / ٠٠٣ / ٢



فارس الأندلس

من البطولات العربية
في أخرج فترة للعرب في أسبانيا

الفارس الأسود

- من ذلك الفارس الأسود ، الذي أثار الرعب في مملكة (غرناطة) ؟
- ما سر التاجر اليهودي ، الذي ابتاع كل محاصيل المدينة ؟
- ثرى هل ينجح (فارس الأندلس) في التصدي للخوف ، أم يربح ذلك (الفارس الأسود) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك في البطولات العربية ، في أرض (الأندلس) .

الهاربة

الرواية القادمة :

المؤلف



د. نيل فاروق



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

11، شارع ستيفان بعلبكي، القاهرة - 11511

التمن في مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم